(١٣)

إشراقات جديدة

المسائل

قصص

محمد عبدالله عيسى

دراسة :

محمد قطب



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

إشراقات جديدة
تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

رئيس التحرير
عبد العال الحمامصى

مدير التحرير
حزين عمر

سكرتير التحرير
أحمد توفيق

المخرج الفنى
صبرى عبد الواحد

تصميم الغلاف
الفنان محمود الهندى

اهداء ..

الى .. أبى .. أمى ..

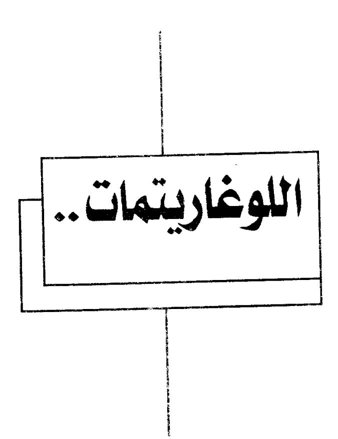
والى

صديقى المسافر أبداً .. حتى نلتقى .

محمد عبدالله عيسى



- العداد ..
- الاستقبال ..
- البنك ..
- الضيوف ..



العداد..

.. لا شك أنكم تسبقون عصركم، ولولا تفتحكم العلمى ونضوجكم الفكرى الراقى، غير القارئ ما كنا وقفنا جميعا الى تلك النتائج المذهلة.. التى قد تغيرّ.. التى قد تساهم.. التى قد ...).

لم يستطع أن يكمل الخطاب الذى كان ينوى أن يلقيه فى بداية حلقة البحث (السيمينار)..

هربت الكلمات من رأسه عندما تطلع الى نتائج البحث فى الأوراق المركونة فوق المكتب أمامه..

لكنهم علماء وسوف يقدرون للتجربة نتائجها الإيجابية والسلبية... نعم.. لقد خدعهم.. غرر بهم ليكونوا فرسان البحث والتجربة.. لكن .. ما حيلته؟.. لم يكن أمامه سوى هذا المنعطف ليصل الى حقائق ونتائج تؤكد قيمة جهازه..

لقد أعترض الدكتور إبراهام في شدة، وحدة عندما عرض عليه مذكرة بمشروع البحث وصرخ في وجهه غاضباً:

أقسم لك.. لولا أنك من ذوى القربى لهشمت رأسك.. قبل أن تصل فكرتك المجنونة الى غيرى من الناس!!

لكن الدكتور (عزيز) لم يفقد الأمل، لم تثنه تلك الكلمات الزاعقة الغاضبة عن عزمه والاستمرار فى بحثه، بل زادته عناداً وأصرارا .

ـ ... نعم .. (...) .. جهاز لقياس عدد مرات الافراط عند الرجل...

هكذا قدم أختراعه فى جلسة خاصة ـ شبه سرية ـ ضمته والصفوة المقربة من زملائه العلماء وزوجاتهم العالمات العاملات معهم فى جماعة البحوث المتطورة) ...

لقد صفقوا جميعا بين دهشتهم ولهفتهم إلى جرأة ما تمخض عنه شيطان الفكر الذى يركب زميلهم.

ـ .. لكن ما جدوى التحكم فى عدد المرات يا دكتور؟ بينما حيوان واحد يكفى..

ـ .. أضافة الى أستفسار الدكتور (اسماعيل).. ما هو الناتج المستهدف من وراء هذا البحث؟

ـ .. أصبت يا دكتورة (منال) .. وهنا يمكننى أن أذكر أن الهدف الأول لما تقدم هو تحديد النسل عن طريق الرجال تلك المرة، وصيانة أجسادهم وحفظ الطاقة الكامنة فيهم وعدم التفريط فيها وتبديدها..

حتى يتفرغوا لأمور الأنتاج فى أعمالهم.. ويضمدوا الجرح الاقتصادى الغائر فى صدر الوطن الأم..

- .. هناك تلال من الأبحاث المدفونة فى أرشيف هذا المبنى.. اغتالتها الأدراج الصدئة وأكلتها (العتة).. ترمى الى نفس المستهدف..

- أستفزازى أنت دائما يا دكتور (عبدالودود)..

- .. لكن.. لماذا الرجل تلك المرة؟

لقد أثبتت التجارب القائمة حتى الآن إنه لا يمكن الاعتماد على المرأة فى هذا الشأن مازالت تؤمن بنظرية جدتها العتيقة.. وتعتقد أن الانجاب يربط الرجل اليها ويشل حركته..

- أحتج يا دكتور.. فالمتعلمات كثيرات.. والعاقلات أكثر..

- آسف يا دكتورة (منال).. فالمرأة هى المرأة.. لم تفلح معها كل أسباب الدعاية فى وسائل الاعلام العريضة..

- .. فقط أرجو أن تسجل أحتجاجى..

- لك ما شئت.. نعود الآن الى خواص الجهاز..

كما ترون سيادتكم إن (العداد) عبارة عن شريحة بلاتينية رقيقة، مساحتها أقل منالسنتمير المربع، وسمكها لا يتجاوز أثنين ميلليمتر (اقل من طابع البريد).. تعمل تلك الخلية (الاليكترو حرارية) تحت تأثير النبضات والتغيرات الحرارية للجسم والمصاحبة للعملية ولا يتم التسجيل سوى بعد اتمام العملية، غير منقوصة.. ويلصق (الجهاز) أسفل الجدار الخارجى لكيس الحوصلة المنوية (الخصبة) فى موضع أمين لا يعرضه

للصدمات ولا يؤثر بالتالى على العملية الجنسية.. علما بأن إمكانيات البحث مازالت قائمة للصق الجهاز بعيدا عن المناطق الحساسة.. ربما أستطعنا يوماً أن نضعه خلف الأذن.. أو تحت الأبط.. أو ... أو فالاجتهادات لم تنقطع والأمل مفتوح...

ـ .. هذا يعنى ضرورة تركيب عداد لكل رجل..

ـ .. بل لكل شاب بالغ.. يا دكتورة (منال)..

ـ .. وكيف يكون ذلك؟

ـ يتم تركيب الجهاز عند الاستدعاء الأول للكشف الطبى فى أختبارات التجنيد على أن يحمل العداد نفس الرقم القومى للمواطن..

ـ .. أسمح لى.. لم أفهم بعد ما يرمى اليه (أستاذنا) ؟

ـ .. تعرفون أن هناك تناسبا عكسيا فى العلاقة بين متوسط عدد المرات الشهرية والسن.. فكلما زاد عمر الرجل نقصت المرات.. فمثلا يمكن أن نرى الرقم أربعين مناسباً لشاب فى العقد الثانى..

والرقم ثلاثين مناسبا لآخر فى العقد الثالث..

والرقم عشرين لرجل... والرقم... و..

لكن أسباب البحث الميدانى عادت الى الرقم عشرين بأعتباره أنسب الارقام للجميع... و ...

يمكن أن يحقق السعادة الكاملة للرجل دون أى آثار جانبية على طاقته الكامنة..

- تعنى أنه اذا تجاوز الرجل هذا الرقم شهريا....؟

- .. نعم .. يجب عليه دفع غرامة ما .. بل تزداد قيمة الغرامة زيادة طردية مع أرقام التجاوز..

- لا أعتقد أن أحدا منا سيبلغ الرقم المسموح به.. سامحك الله يا دكتور (عزيز) تفضحنا دائماً..(يضج الحاضرون بالضحك لتعقيب الدكتور «عبدالودود») .

- ... ولكن كيف سيتم تدوين القراءات المسجلة على الجهاز؟

- ... الأمر أبسط مما تتصور يا حاج جابر.

(هكذا كان يحب (الدكتور جابر) أن يناديه رفاقه بلقب الحاج بعد أن أدى المناسك منذ سنوات بعيدة بعد موت زوجته.. ويقول بعض الخبثاء إنما أراد بهذا اللقب أن يكون مميزا عن زملائه الذين يحملون حرف (الدال) .. ويملأون عين الشمس.. الدهاليز.. الطرقات.. النتوءات .. والمساحات الفارغة فى هذا المبنى الضخم.. جماعة البحوث المتطورة) ..

.. يمكن أن يعبر حامل الجهاز أمام العين السحرية الكاشفة والمركبة على جدار الحاسب الاليكترونى.. فتظهر قراءات العداد المسجلة على الشاشة فورا.. دونما حاجة إلى أن يكلف الرجل نفسه عناء خلع ملابسه..

- أتمنى أن يكون لى مكانا عندك فى هذه المغامرة الشاطحة!!

- سوف أضمك يا (حاج) الى فريق التجربة، كحالة خاملة تحت البحث.. فأنت مازلت أرمل..

(يضج الزملاء بالضحك).

- .. وماذا عن الحيوان الوحيد المؤثر؟

- .. كدت أنسى فى زحمة أسئلتكم المهتزئة.. جهاز الانذار (الألارم) الملحق بالعداد.. إنه يعطى رنيناً خافتا لرائحة إخصاب البويضة ينبه صاحب العداد إن احتمال الحمل قائم... ويزداد هذا الرنين تصاعدا لينبه الزوجة.. والجيران أيضا.. والعاقبة على التمادى..

- وهل يسجل العداد تلك المرة؟

- .. نعم.. وتدون قراءة حمراء (خطرة)..

- .. بعض الايضاح يا (دكتور) لو سمحت؟

- .. يقضى مشروع البحث بأن عدد المرات المسموح بها اثناء تخصيب البويضة لا يجب أن يتجاوز المرة الواحدة فى العام.. وبحد أقصى ثلاث مرات طول رحلة العداد..

- هذا يعنى فرصة أنجاب واحدة فى العام.. وثلاث مدى العمر.. وماذا عن المخالف؟

- .. الغرامات المالية الكبيرة.. ثم السجن لمدد تتناسب وفداحة الجريمة.. ثم الاعدام إن إحتاج الأمر..

- ولمن تؤول الأموال المحصلة فى النهاية؟

-.. للمالية طبعاً.. حتى تتمكن من سداد ديون البلاد..

- .. هذا مشروع رائع.

- .. وطنى أنت من الدرجة الأولى يا (دكتور) ..

أسمح لى بتقبيلك..

- ... فقط.. أذهبوا للدكتور (برهام) .. أقنعوه بذلك..

- نأسف .. لا نستطيع..

...

- عليك بمائدة سمينة.. يأكلون بشراهة..

تربطهم التخمة الى المقاعد..

هكذا نصحه زملاؤه المقربون، عندما بثهم خوفه عند فى يوم أعلان النتائج امام نماذج من شخوص التجربة وذويهم..

- .. لقد خدعتهم.. لم اكشف لهم عن نظرية العداد عندما ركبته لهم، خوفا من هروبهم.. وتأكيدا للتلقائية فى التشغيل.. قلت لهم: ان الجهاز خاص برصد العلاقة بين القذف ونبضات القلب .. أخترت نوعيات مختلفة، تمثل كل الشرائح.. شباب.. زواج حديث.. زواج بائت.. متعلمون.. حرفيون.. عاطلون.. ما عدا حالتين فقط يعرفان مسبقا الغرض من التجربة.. الحاج (جابر، والدكتور (صميدة) ..

....

....

ما أن عرف الحاضرون بحقيقة الجهاز المركب لهم، حتى أصابتهم الطامة الكبرى..

تماسك الدكتور (عزيز) فى مقعده، خلف المنصة الرئيسية وراح تيلو نتائج التجربة:

ـ .. الحاج (جابر) .. لقد سجل جهازك .. عشر مرات خلال مدة البحث.

ـ .. سوف أقاضيك على خديعتك .. يا قذر..

ـ كنت تعرف مسبقاً الغرض من العداد...

ـ كنت متأكدا من فشلك .. لم أكن أثق فى جهازك..

الله يفضحك .. حسبنا الله ونعم الوكيل فيك..

يا عزيز يا بن عزيزة..

ثم ترك القاعة غاضبا، ساخطاً تحت العيون الهائجة، المتحفزة .. لقد نبههم الى فداحة الأمر والفضيحة..

ـ نحتج على تلك المؤامرة الدنيئة.

يصرخ صوت فى آخر الصالة ثم يتابع يحرض الآخرين:

ـ .. أقتلوه .. مزقوه .. قبل أن يدمر المجتمع .. وتقف المرأة التى عن جواره، تصرخ ناحية المنصة:

ـ .. بل استمر يا دكتور .. هذا الرجل زوجى..

أريد حقيقته .. أريد قراءاته .. أسمه عبدالمتعال...

ـ ... أعرف يا سيدتى .. وأحى شجاعتك .. لقد سجل عداده أربعين مرة خلال الشهرين الماضيين ومرة حمراء (خطرة) ..

وتصرخ المرأة فجأة.. ترج القاعة:

- أننى أستشهد بالعداد على خيانته.. سوف أقاضيه..

ثم تتلفت الى زوجها تلطمه بشدة... تنهش رقبته:

- .. يا خائن.. بابن الكلب.. كنت تخوننى مع (فهيمة) الشغالة وتقول لى أنها حامل من (عبده) البواب.. سوف أفضحك.. أشهدوا يا ناس.. هذا الرجل لم يقترب منى منذ عام..

ضمها زوجها الى صدره بقوة، يجذبها الى الخارج، يكمم فمها بيده وهو يصرخ ناحية المنصة:

- سوف أعود لأقتلك.. خربت بيتى يا بن الـ (كلب)... هاجت القاعة وماجت.. العيون زائغة، فزعة، لا تعرف أتجاها..

ويتابع الدكتور (عزيز) تلاوة نتائجه فى بلادة يحسد عليها، موجها كلامه تلك المرة ناحية زميله الذى يجلس بجواره فوق المنصة:

- .. لقد عجبت عندما طلبت منى بأصرار وألحاح المشاركة فى تلك التجربة.. لكنى فهمت كل الأمور بعد ذلك.. لقد عدت الى عادتك القديمة.. الدنيئة فى سرقة الابحاث من تلاميذك وأساتذتك.. كى تسبقهم فى الاختراع.. حقير أنت يا دكتور (صميدة)..

حاولت أن تعرف تصميم الخلايا (الاليكيزوحرارية).. قمت بفك الجهاز والعبث به.. وأعدت تركيبه بطريقة خاطئة.. ويؤسفنى أن أخبرك أن هذا العمل سوف يتلف كيس الحوصلة المنرية عندك..

- لا .. لا..

يصرخ فجأة ويقفز من مكانه ممسكا برقبة الدكتور

(عزيز) محاولاً خنقه، يريد أن ينال منه:

ـ .. سوف اقتلك !!

يسرع بعض السعاة يسحبونه الى خارج القاعة، وسط الصراخ والعويل والضجيج.. بينما يتابع الدكتور:

ـ .. على أنه تبدو حالة مثالية... لم يسجل صاحبها أى قراءة.. بأسم ...

وتنطلق فى القاعة طلقات نارية.. تخرس الأبواق قبل أن تنطق الاسم.. يتحطم زجاج النوافذ.. تسقط اللمبات الكرية الكبيرة.. الكل يصرخون.. يولولون.. يبحثون عن المخارج.. لا أحد فوق المنصة.. والدكتور يهرب فى الجميع..

....

....

...

من متابعات (العداد) فى الصحف القومية ووكالات الانباء:

* .. لولا تشجيع الدكتور برهام، لمات المشروع فى الادراج..

* .. البنك الدولى يقدم قرضا طويل الأجل وفوائد ميسرة بضمان العداد..

* مظاهرات لطلبة الجامعة.. تطالب بزيادة عدد المرات فى خطة

الدكتور (عزيز) ..

*.. لأول مرة تتفق الأغلبية والمعارضة لمشروع (العداد) ..

* .. سفراء الدول النامية والصديقة يطلبون الاستفادة من أصول البحث..

*.. تسريح العاملين فى تنظيم الأسرة..

* .. اختفاء الدكتور (عزيز) ..

....

....

...

---

* نشرت بمجلة (القصة السكندرية) العدد ٣٧ سبتمبر ١٩٩٢.

اللاستقبال..

نحن الآن معكم على الهواء مباشرة، لننقل اليكم وقائع هذا الحدث الهام من مركز البحوث المتطورة.. حيث شيدت كابينة (الاستقبال).. لننقل الى العالم لحظة ميلاد الثورة الرابعة.

ولعلكم سيداتى، آنساتى، سادتى.. تتطلعون شوقا الى ذلك المجهول.. تحبسون الأنفاس ترقبا واحتسابا وانتم تتابعون التلفاز امامكم.. فالحركة هنا على قدم وساق.. غير عادية.. كل يعرف اتجاهه.. المعاطف البيضاء تتحرك فى خفة بالغة خلف الحاجز الزجاجى الكبير الذى يفصل القاعة المعقمة عن باقى اجزاء المبنى، لاستقبال فارس البحث.. بينما يقبع الزملاء مندوبو الاذاعات ووكالات الأنباء تحت الهمس.. يرصدون الحدث... الأنفاس محسوبة.. نقاء اكسجين المكانِ مطلوب.. تعقيم النسمات شرط أساسى لنجاح التجربة..

اللمبات الصغيرة ترصع مساحة **الجدران** فوق الحاسبات الالكترونية التى تملأ جوانب المكان.. حمراء.. **زرقاء**.. خضراء.. صفراء.. كل ألوان الطيف.. ترتعش .. ترتجف **حول** كابينة (الاستقبال) فى انتظار الميلاد الآخر..

ـ .. الموضوع أبسط مما تتصور **يا سيدى**.. خذ مثلا.. تلك الطاقة الصوتية التى تتحول أمام **أجهزة** الارسال الى موجات كهرومغناطيسية.. نطلقها عبر **الاثير** عند التردد المتفق.. ثم نعود الى استقبالها فى نفس اللحظة فى **مكان آخر**.. أصواتا أليفة كما عهدناها.. لا نسألها عن أهوال الرحلة فى **الطبقات العليا** عبر الزمان والمكان..

ـ .. لكن الأمر يختلف تلك المرة **يا دكتور** (عزيز)؟

ـ .. هى نفس الفكرة لا اكثر **ولا أقل**.. تحويل المادة الى موجات كهرومغناطيسية.. ثم ارسالها.. **فأستقبالها**..

ـ .. أسمح لى يا دكتور.. **لماذا لا** تتم تلك المخاطرة الاولى على فئران المعامل وحيوانات التجربة.. **قردة** مثلا.. أو ضفدعة.. أو فأر..

ـ .. لا يوجد حيوان يستحق **كل تلك** الملايين التى أنفقت على التجهيزات والمعدات.. ثم من **أين لنا** بالمنتج الذى يمول تلك التجربة مرة أخرى..

ـ .. ربما.. نفس المنتج.. أو غيره؟

ـ .. لقد باع كل ما يملك لاستغلال نتائج البحث.. والحقوق المحفوظة..

- لكن !! المخاطرة بإنسان **شيء بالغ** القسوة..

- .. لو أخذ العالم بأسباب **الشك** والفزع الذى تزرعونه.. ما هبط (أرمسترنج) على سطح القمر.. **وما** كانت حروب الكواكب..

- .. وما أو تيتم من العلم **الا قليلا**!!.. (يتمتم صوت من وسط المؤتمر).

- يمكنك أن تدفن حقدك **الآن يا** دكتور (صميده)..

- .. **حقا**.. ماذا من أمر **الروح؟...** (يصرخ صوت آخر)

- .. **يتساءل** الناس فى **الشارع.. لماذا** وضعتم هذا الجزء الحساس من جسم انسان التجربة تحت (**تردد عالى مغاير**).. هل يعنى هذا ان هناك كابينة (استقبال) اخرى.. **فى مكان ما** تنتظر هذا الجزء؟

(يرد صوت فى انفعال **وحدة**).

- .. اسف يا سادة.. الوقت **ليس ملكى**.. وقد أنتهى الآن موعد مؤتمركم الصحفى المبجل.. **على أمل** أن نلتقى بعد الحدث الكبير.

....

....

....

لقد كان الباحث الصغير **مفتونا بالعبقرية** المغامرة التى تفرز الغريب والعجيب من اساطين **المستحيل..**

ملأت الفكرة رأسه منذ **أن كانت** دعابه تتلقفها الصحف.. تنقلها عن الدكتور (عزيز).

ـ نعم .. نعم .. ستكون الثورة الرابعة .. **بعد** الثورة الصناعية .. الكهربائية .. والتكنولوجية .. ليس المهم **اسمها** الآن .. يأتى ذلك بعد نجاح التجربة وتحقيقها .. شئ مذهل **أن تدخل** كابينة الأرسال من المدينة الحالمة البعيدة .. تضغط المزر **تخرج من** كابينة الاستقبال بالعاصمة فى نفس اللحظة .

كم تمنى من اعماقه ان يكون فارس **التجربة** .. ان يكون حديث المحافل العلمية فى ارجاء المعمورة ..

ـ .. خذنى اليك يا سيدى .. أسبح **مدك** .. **أطوف** فى طموحك .. أركب سحابات اللغز .. أتعلم .. وأتعلم ..

ـ الشرف الرفيع لك يا ولدى .. كنت **أرقبك** .. فالنبوغ الكامن فيك يؤهلك عندى .. لذا اخترتك دونهم جميعا **لتركب** جناحى التجربة ..

ـ .. انى لها .. انى لها ..

....

....

....

لم نزل معكم على الهواء .. أيها الاعزاء .. **ولقد** آثر مخرجنا النابغة أن يقسم الشاشة امام حضراتكم الى (**كدرين**) ... الايسر منها لنقل وقائع (الارسال) من الكابينة الخاصة **بالمدينة الحالمة** البعيدة ... والكدر الأيمن لوقائع (الاستقبال) هنا فى مجمع **البحوث** المتطورة بالعاصمة ..

وحتى نلتقى عند نقطة التحول **الخالدة** .. **نعرض** على سيادتكم بعضا مما تناقلته صحف الصباح ووكالات **الأنباء** حول هذا الحدث:

** الفراعنة يؤكدون أصالتهم والثورة الرابعة تبدأ من سفح الهرم.

** فتاة الأحلام تهدى وردة الى فارس الاستقبال.

** الدكتور عزيز ينام تحت اقدام ابى الهول فى ليلة التجربة.

** منتج التجهيزات... ينتظر النتيجة فى غرفة الانعاش.

** هل باع الدكتور عزيز الجزء الحساس فى فارس البحث؟

** الشائعات تملأ الشوارع..

الآن ننتقل الى .. الآن.. سيداتى.. آنساتى.. يظهر فارس الأنتظار فى الكدر الأيسر .. امام كابينة (الارسال) هناك فى المدينة الحالمة البعيدة.. ينظر ناحية الكاميرا.. يلوح لنا.. يلوح لكم.. يتحسس زيه الفضى.. يتأكد من الفتحات الخاصة به، حتى لا تتسرب أى من ذرات الشك فى نجاح التجربة.. ثم يتحسس تلك المساحة الحساسة من جسده - المغطاة بالألياف الحمراء - فى حركة خاطفة، ثم يتطلع إلينا.. يرسم ابتسامة واسعة فوق ملامح وجهه الصغير.. تدغدغ مشاعر القلق الراقدة فى انتظارنا... ها هو... ها هو..

يتجه ناحية الكابينة.. يدخل.. يلوح لنا.. يبتسم.. يقفل باب كابينة (الارسال) خلفه...

ثم .. ثم .. هاهو ها هو.. فارسنا يفتح باب كلبينة (الاستقبال) امامه...

يخرج امامكن فى الكدر الأيمن من الشاشة.. فى نفس اللحظة.. ها هو يلوح.. يقفز فرحا بنجاح التجربة بعد أن تأكد من وصوله الى القاعة الكبرى هنا...

مـبـروك لكم جـمـيـعـا.. مـبـروك للعـالم.. مـبـروك الى راعى العلم والعلوم.. ها هو فارسنا لا يصدق نفسه.. يتلفت حوله.. يتحسس زيه الفضى.. صدره.. يخلع غطاء الرأس.. يمسح جسمه.. أذرعه.. أرجله.. يتحسس موضع الألياف الحمراء فوق المساحة الحساسة من جسمه.. يصرخ.. يهب مفزوعا.. يطل الفزع من عينيه.. يمسح ارجاء القاعة..

تصطدم عـيناه بالدكـتـور (عـزيز) المنزوى فى مكان قـصى.. يصرخ.. ثم ينطلق فى أثر الدكتور (عزيز) الذى فر مذعورا.

سيداتى.. آنساتى.. سادتى مع .. معذرة.. فالاحداث تتلاحق هنا.. بسرعة بالغة ... ومنابت الادراك فينا لا تستوعب ما يدور حولنا.. وملامح الاستقبال لا تبدو واضحة..

* **

البنك..

كل شىء صار أنسيابيا فى هذه الأيام، حتى الرصاصة التى يدخرها لنا الدكتور (عزيز)..

يخرج الرجل فجأة - كعادته فى كل مرة - يهرش (سافانا) الجنون فى رأسه.. ينتزع شعره، يتأملها.. يتأملنا.. وجدتها..

- أنتبهوا .. جئتكم بصندوق الأمنيات الواسعة.

- خلصنا.. يا معلمنا..

- شروطى على المكشوف..

- نحن لها..

- قايضونى.. يادلونى؟

- أخلفت الموعد.. فقد دب الجفاف الشرايين الوارفة..لم نعد نملك سوى أحلامنا المهترئة.. تدفئنا فى برودة أيامنا..

- لا عليكم.. دعونى آرتقها لكم..

- ماذا؟ ماذا تريد؟

الاعلان الجديد يبدر الأرض، يفرش كل المساحات الواسعة فى أبناء المدينة... (البنك لنا).. يرقص الحالمون.. يهللون.. يرددون أغانى الخلاص فيما بينهم..

- ... وكيف يكون ذلك؟

- فقط.. آرهن حلمك..

- .. و .. ويكون القرض؟

- نعم.. اكليلا فوق رأسك.. يتوجك فى الزمن المفتوح..

- .. أخاف أن يصلبنى فوق غدى!!

- .. أنتهز الفرصة .. لا تتردد..

...

...

...

- ماذا وراءك؟

- .. الصفوة المختارة فى بلادى تريد قرضا، تنفضّ به غبار التخلف عن كاهلها..

- أوراقك؟

- (توظيف الاحلام) تلك المرة..

- .. وماذا عن موارد السداد للمديونية؟

- سأقرضهم من بعدكم بضمان ودائعهم..

- .. وهل يملكون؟

- .. نعم.. بريق الطموح فى عيون نسائهم لا ينقطع.

- قد تزعجهم أسبابك؟

- تحت خطوط اليأس .. العوز.. الحاجة .. تتكسر كل الأسباب.

- وماذا عن حالات العجز من السداد؟

- نوظفهن.. نستثمرهن وفقا للعهد فى ناموسنا القديم..

- وماذا عن الافاضل؟

- أصابهم الشلل.. ميتون وقردة.. ولا شيء بين الاثنين..

- ليت عيوننا المبدورة فوق سقف العالم فى توقدك.. لك ما شئت .. يارجلنا الحكيم..

...

...

...

وحدكم.. دون غيركم، أخصكم بما يعتمل فى رأسى كل مرة.. أعرفكم.. أفهمكم.. تركبون المواجهة، تسبقون ندائى.. تريدون مسافة

من الحلم قبل أن تناموا فى تخمة التصاريح الشرعية المعتمدة من فم الأسد..

لن أطيل عليكم، فالغرض من المشروع هو أستنباط الامكانيات الكامنة المجهولة فى ودائعكم لإعادة توجيه الطاقات المدفونة وإستثمارها... وسيتم تخزين البيانات وتحليلها بواسطة الحاسب الآلى لأختيار أفضل العناصر القادرة على العطاء والمرونة فى التشغيل..

لا مجاملات.. لا محسوبية فى واقعنا.. فالامتيازات لن تنقطع فى أيامنا، تحددها نتائج السحب الشهرى على أرقام الوادائع.. فيلات بالساحل الشمالى.. فيلات (المارنيا شارم) بالجنوب الساحر..

ثم .. بروش الصدر الالماس الذى يحمل شعارنا لمن يقع عليها أختيارنا الأول من بين المتقدمات.. تليها صاحبة البروش الذهبى.. ثم البروشات الفضية لباقى الرائدات.. ثم .. ناهيكم عن وسائل الانتقال التى سندبرها لكم بالتقسيط المريح بدءاً من الرولز رويس حتى الدراجات البخارية المميزة... أبداً لن نسمح لفراخنا الذهبية أن تمشى على الارض.. سنحلق جميعا الى أعلى تظللنا سحابات مشروعنا الكبير...

على أنى أعفيكم من عناء المباحثات التى تمت معهم... تحملتها من أجلكم (أحيائى) .. فلا تضيّعوا الفرصة ..

اسرعوا إلى اكشاك الدخان والتبغ.. ومنافذ توزع الخبز.. والمكتبات الكبرى.. اسحبوا أقرارات الذمة الممكنة..

اجلسوا الى ذويكم.. تدبروا الامر فيما بينكم.. نحن فى انتظاركم...

..

...

...

● أقرار..

أنا الموقعة أدناه المتفهمة / ....

زوجة الموقع أدناه النابه / .....

بصحة بياناتى الخاصة.. لم أبلغ الخامسة والعشرين ولم يتجاوز زوجى الثلاثين بعد.. نحمل مؤهلات عليا، معتمدة موثقة.. ونجيد لغتين... و ... و... طبقا لشروطكم الخاصة التى اطلعنا عليها..

وأقر بضمان شريك المصير بكل ما أملك وما أوتيت على سداد الاقساط وفوائدها فى مواعيدها المحددة.. وأقبل بكل أرادتى أن أكون وديعة، يحق للبنك توظيفها وتدويرها.. ومصادرتها فى حالة التقاعس أو العجز..

....

....

شاطت غضباً، عندما أخبرها برغبته فى اصطحابها إلى البنك..

ثارت..

أخذ يهدئ من روعها، يذكر بأسباب الحاجة تقيدهما من خلاف، يتعثران فى عجّزهما كلما حاولا الخطو.. وكيف أن الدراسات العليا،

الأبحاث تأكل فتات راتبها.. لا يبقى لهما سوى الألم بجترانه..
الاحلام كثيرة.. والطريق طويل..

- ترهنى يا (حسن)؟

- معاد الله.. بل أنت الضمان لحسن النوايا عندهم.

- يحدثنى قلبى بأكاذيبهم..

- تلك شروطهم المعلنة.. لم يضربنا أحد على أيادينا..

- .. لكنهم سينامون فى شئوننا الخاصة؟

- سوف نخادعهم.. نماطلهم.. نهادنهم إن احتاج الأمر.. لكن.. أبداً لن نتنازل.

- ... أخاف يا (حسن)..

...

...

شاط غضبا، عندما أخبرته برغبتها فى أصطحابه الى البنك...
ثار..

أخذ يعاتبها.. يذكرها بأسباب القناعة والكنز، وكيف يتمرغان فى أيامها الطيبة.. لا شيد يعكر صفو الأيام.. الرحلة جميلة.. والأهل لا يبخلون.. صرخت.. الأحلام كثيرة.. والطريق طويل..

- .. أفهمنى.. يا (زينهم)؟

ضقت ذرعا.. لا أريدك رهينة عندهم..

- تلك شروطهم.. لم يجبرنا أحد

- لسنا فى حاجة اليهم.. الأحوال طيبة.

- يخنقنى.. يعذبنى طموحك المحدود.

- لا تغضبى.. لك ما شئت.. فقط.. أذكرك بأنهم سيناموون فى شئوننا الخاصة.

- لا عليك.. سوف أخادعهم.. أماطلهم.. أهادنهم إن إحتاج الأمر.. لكنى أبداً لن أتنازل..

- يحدثنى قلبى بأكاذيبهم.

- .. لا تخف.. يا (زينهم) !!

....

....

...

شاطوا غضبا، عندما وقف الدكتور (صميدة) - عند منصة القاعة - يطلب مناظرة الدكتور (عزيز) ... أمام هذا الحشد الهائل من كبار رجال الدولة.. المستثمرين.. المستفيدين.. شخوص الودائع وذويهم.. وسائل الاعلام.. ووكلات الأنباء...

جاء يدمر حلقه البحث (السيمنار) - المنعقدة بالفندق الكبير - بعد أن خذلوه.. طردوه من مشروعهم الواسع.. لم يرضو بمكافأة مميزة له دون الآخرين..

- تفضل يا دكتور .. هات ما عندك!

- لماذا جئتنا الآن فى أكذوبة (مسَيلمة) المسمومة؟

- خسئت فى ألفاظك.. يا (صميدة).. أبداً لم أدع النبوة.. وأبدا لن يطوقنى حقدك الذى أعرفه، منذ نامت أغنية (قابيل) فى صدرك..

- .. لا تسوّفنا يا (عزيز)... ولماذا الخصخصة؟

- الشباب.. هو نصف الحاضر وكل المستقبل.

- سقط الأباء والاجداد من خريطتك..

- لماذا تريد تأليبهم علينا يا (صميدة).. هم طيبون.. ويعرفون.. لا مكان للكوابيس المأفونة فى ركبنا..

- .. لماذا عدتم بنا الى طقوس (حمورابى)؟

- مجرد مصادفة فى الملمح.. ثم أن القانون (البابلى) كان يخول للرجل الحق فى رهن زوجته وفاء لديونه.. بحد أقصى ثلاث سنوات.. وكانت طريقة بذيئة للتخلص من الزوجات.. كما تعرف..

أما فى مشروعنا.. فالزوجة هى الضامن لتدوير العائد، والمنتج.. و.. ولها موقعها المميز على خريطة السلطة والنفوذ.. ويمكنها أن تفعل.. وتفعل..!

فلماذا المغالطة يا (صميدة)؟

- عمولتك؟.. دورك فى اللعبة؟

- عمولة؟! دور؟!.. أنا؟ .. أنا؟

أنا متطوع يا بن (الكلب)..

...

...

...

- لماذا....؟ (سأل مذيع القاعات والمؤتمرات) .

- دعنى أهنئك على سؤالك الذكى الذى غطى جميع التساؤلات التى تعتمل فى ضمير أيامنا.. وهو سؤال هام حقاً .. يتخطى التفسير العابر، ويحتاج الى أستقراء فلسفى لملامح التكوين والتجربة.. ويصعب التسرع بالأجابة عليه الآن..

- ما رأيكم؟ دام فضلكم.. (سألت المذيعة الشاملة)

- لا تيأسوا.. فقط.. دعونا نعمل فى صمت.. ويمكنكم أن تستريحوا فى نومكم..

- يا (عزيز) زماننا.. أفتنا فى الأفيال التى تأكل الأرانب؟

(يسأل مذيع البرامج العقائدية فى مرارة)

-.. أمهلونى أفكر..

- .. أنتظرناك فى الخطة الأولى.. والثانية.. والعاشرة.. لماذا تتراجعنا فى المحافل والأيام؟ (سأل المذيع الرياضى مبتسماً)

- .. المهمة صعبة كما تعرفون ... بحثنا.. درسنا.. خططنا.. حاولنا...

أخذنا بأسباب النظرية (الجوهرية) فى التغطية الشاملة.. فأنكشفنا!!

- وماذا بعد؟

- ... فقط لا تضيعوا الفرصة.

...

كل شئ صار أنسيابنا أمام تلك الطوابير الممتدة التى تملأ ساحة المكان.. الرجال يسحبون النساء .. يهللون وهم يعبرون الى الداخل تحت لافتة البنك الكبرى... بينما يطل الرجل من النافذة التى تعلو اللافته... يهرش (سافانا) الجنون فى رأسه...

ينتزع شعرة... يتأملها... ويتأملهم...

الضيوف..

ركن الى الكرسى الجلد ذى المسندين بالصالة الفسيحة فى منزله، ثم تطلع محملقا مرة أخرى فى الشاشة الكبيرة أمامه والتى أنتهى من ربطها الى دائرة التليفزيون - اشتراها صباح اليوم - ستظهر كل الكائنات بحجمها الطبيعى..

وبالرغم من أن مساحة الفراغ ضيقة فى يومه.. لا تسمح له حتى بتصفح جريدة، الا أنه يحرص كل الحرص على متابعة النشرات الاخبارية المصورة بالتليفزيون، تغطى أحداث يومه.. وهذا يكفى..

تنبهه دقات الساعة الحائطية بالصالة الى ميعاد النشرة الفرنسية.. يسحب (الريموت).. يضغط الأزرار..

تظهر المذيعة الحسناء على شاشة (السلايذر) - فى حجم جديد لم يألفه - تبتسم له.. يعتدل فى جلسته.. يبتسم لها..

لا تعيره التفاتا.. تقرأ فى آليه.. لغة راعته الكلمات، تتخبط فيها.. ود لو يصححها لها.. لكنها تهرب خلف التحقيقات المصورة..

ترسل زميلها (المتشنج) فى خبر تالى.. ينظر فى غضب..

لا يبتسم..

يرتد (عزيز) الى مقعده.. يرفع كوب الشاى أمامه.. ثم رشفة طويلة فى تأفف، حتى يختفى المذيع خلف المأساة المعروضة.

(كائنات الطابور الجنائزى تتخبط فى الخروج الكبير.. تحمل خواءها فى صرّر ربطت الى اطراف العيدان الممصوصة.. فتئن الأرض تحت أحمالهم الهشة.. تتقطع فى احتضارها والجفاف.. ويمتد تشققها السرطانى، يلتف، يتعلق بأقدامهم..

يسرح الى أطرافهم.. يغطى ملامح التكوين فيهم.. و.. ويلطخهم).. العدسات الكبيرة.. الصغيرة.. الكاميرات تلاحقهم من كل اتجاه.. ترصد خطوط الألم.. زوايا التوهان..

و (الزوم) لا تضيّع الفرصة والتفاصيل، تلتقط احدهم فى نظرته البعيدة للخلف.. تتثبت فوق وجهه الهائم..

فيهب (عزيز) واقفا للمفاجأة التى امامه على الشاشة.. ينحى كوب الشاى جانبا.. انه يعرف الرجل.. فيطلق ندائه قبل أن تضيع اللقطة:

- ولد (دابو)... ولد (دابو)..

يتنبه الرجل الى مصدر الصوت.. يتلفت.. يراه واقفا فى صالته الوثيرة، فيلوح له.. ويهلل فرحا

- دكتور (عزيز).. دكتور (عزيز)...!

- .. أقفز .. يا ولد (دابو)..

اقفز.. قبل ان تضيع الومضة..

يقفز الرجل من مكانه، يتعلق بنداء الخلاص البعيد.. يخترق (الزووم).. والشاشة .. يتلقفه (عزيز) - فى وسط الصالة - بالاحضان.

يسنده الى المقعد المجاور له.. يسحب (الريموت).. يغلق الجهاز، قبل ان ينتبه من بالداخل الى مغامرة الرجل، فيقفزون فى اثره.. يبتسم الرجلان.. والذهول يملأ المكان..

- .. كيف حدث هذا؟

- .. لا عليك.. استرح الآن..

...

...

- أعذرنى.. حتى الآن لا أصدق، بالرغم من معرفتى الكاملة بك، منذ الزمالة الأولى فى جامعة (اكسفورد).. كيف حدث ذلك؟

- .. علمه عند ربى..

- .. نفس الجواب البعيد للكنز المدفون فى عينيك.

- تبالغ دائما يا أخى..

- الحقيقة أقول.. كم حاولت ورفاقى.. (صميده) وفريقه.. أن نستثمر خوارقك فى غربتنا، تعيننا على امورنا هناك.. و.. والاسئلة التى يخبئها لنا الاساتذة فى رءوسهم ..

لكن محاولاتنا جميعا بائت بالفشل.. تحطمت عند صخرة أرادتك..كنت تستقبل الدرس بأذنيك.. تنكس رأسك دائما..لا ترفع عينيك الى عين المحاضر أمامك، حتى لا تقرأ بالرغم منك ما فى رأسه.. تريد فرصة متساوية معنا.. لا تزيد ولا تنقص وأراك الآن بالرغم من الشدائد التى قد تنحنى لك مازلت على عهدك القديم..

- .. وهل أخون العهد؟

- لا أقصد.. ولكن..؟

- لا تزيد يا عزيز.. الوقت لا يتسع لشطحاتك

اريد قلما.. وبعض الأوراق.. وساعتك أيضا..

- .. تعود لأسبابك القديمة.. ومسائل (أقليدوس)..

أليس كذلك؟

- .. أريد أن أحسب لموقع اهلى.. يفتقدوننى الآن..

فرش الأوراق امامه.. رسم خطوط طويلة وعرضية، تقطعها دوائر متماسكة ومربعات مختلفة الاحجام، منحيات صاعدة، هابطة .. ارقام كثيرة ومعادلات على الهوامش.

حملق فى الساعة امامه.. يسجل القراءة الى حساباته.. يكتب.. يكشط .. ثم خطان متعامدان، يحددان ملامح الجهات الأربع.. ومراجعة اخيرة.. يطمئن لها..

- .. لا أفهم مفرداتك.. تشخبطها على الورق؟

- .. أنهم يطلون الآن من اخبار (الاناضول) .. وبعد خمس دقائق سيطلون من اخبار (الألب) .. ثم بلاد (الضباب) .. وبعدها (عاصمة النور) ... و ... و .. و ...

وهكذا ينقلنا الاثير عبر البحار، السهول، الوديان .. نطوف العالم .. لا ننام في اتفاقيات (وكالات الأنباء .. تطالعنا الشعوب الغائبة في مآسيها .. نطالعها .. نشفق عليها ..

تبصقنا تردداتهم العالية، تصطدم رءوسنا بالاطباق الكونية .. تدوخنا .. ثم تقذفنا الى موجات جديدة، تستقبلنا على مضض .. ودوليك ... لا نفرح الا في استقبالكم لنا ..

- ... تبالغ أنت؟

... نرتاح كثيرا في نشراتكم الممتدة، يقطعها البث المباشر في كل حين .. فنعيش معكم احتفالاتكم ومؤتمراتكم التي لا تنتهي ... نتابع الجلسات الموقرة .. نشجب الارهاب .. ونشجع الدراويش، في انتظار دورنا تحت الاخبار المرصوصة التي يزاحمنا فيها أبناء الفيضانات ... الكوارث .. الايدز .. وانشطار الأمم.

- أث فور .... !؟

- لا تندب يا رجل .. وأفدني .. هل تمانع في ان ينزل اهلي ضيوفا عليك .. نستقبلهم في نشرة الانجليزية بالقناة (.) بعد عشرين دقيقة ...

- .. وهل استطيع .. بعد أن آثرتني دون غيري لاستقبالك وذويك ..

ـ .. اذن عليك ان تسرع فى تدبير بعض اللقيمات لتشغل حيزا من الفراغ فى بطونهم، عندما نستقبلهم فى نشرة اخباركم.

ـ بل سأجهز مائدة لم يحلموا بها من قبل.. تعوضهم..

ـ .. لا نشطح يا عزيز.. فقد دعى حاتم مثلك شيخ شيوخنا والوفد المرافق له ـ عند عرض احوالنا على شعبهم الشقيق ـ الى مأدبة تغطى زمن المجاعة فينا... لم يستطع شيخنا الكبير ان يتحمل التوتر العاطفى ومات فجأة من هبوط فى القلب...

ـ ما رأيك .. بعض من الخبز الفينو.. البيض .. الجبن.. الالبان.. والعصائر؟

ـ .. امعائنا المبتورة من نهش الجوع.. لا تقوى على كرمك.. فقط.. بعض لقيمات.. حفنات دقيق.. وقليل من الملح والسكر..

....

....

بعد أن أنتهى (عزيز) من مكالمة (السوبر ماركت) الذى يتعامل معه، يستعجله فى تجهيز الطلبات لضيوفه.. (أريد.. وأريد)..

تلبث سماعة التليفون على أذنه.. لكنه تردد فى ادارة القرص عندما اصطدمت عيناه بعينا ضيقة الذى يتابعه.

ـ.. يمكنك استدعائهم يا عزيز.. انى لها..

- .. قرأت ما فى رأسى اذن.. يعرفون قدرك من احاديثنا التى لا تنقطع عنك.. تمنوا لو كنت قائما فيهم.. يرجعون اليك كلما تعثروا فى ..

- .. استدعهم يا عزيز.. ولا تسترسل..

....

....

....

جلس (عزيز) الى مقعدة امام الشاشة.. بعد أن ركن الوجبات الغذائية التى جهزها (السوبر ماركت) لتكون فى استقبال ضيوفه فور وصولهم - الى المائدة المجاورة.

بينما آثر الضيف أن يفرش الأرض فوق السجاد الوتير.. يرتاح الى تلك (القعدة) منذ أيامه الخضراء البعيدة فى احضان اهله وعشيرته.. يسمع للشيوخ والحكماء.. حتى رضع الفطنة والذكاء.. والصبر كله..

- .. أفتح الجهاز يا عزيز..

(كائنات الطابور الجنائزى تتخبط فى الخروج الكبير.. تحمل خواءها فى صرر ربطت الى اطراف العيدان الممصوصة..

تئن الأرض تحت احمالهم الهشة... و ... و ...

ومازال القطيع البشرى يركب خروجه...)..

سامحكم الله فى الفاظكم.. نطوف العالم.. طوله .. عرضه..

نحذركم من مصيرنا.. وبعدها نصبح قطيعاً..

ـ معذرة.. يا ضيفنا.. يبدو أن المذيع.. المعدّ.. الرفيب...

ـ لا عليك.. اعرف المدعون يملؤن زماننا.. يفرشون كل البسيطة..

ـ تسعفنى فطنتك دوما..

ـ ..فقط.. أخفض الصوت الذى يبغبغ.. لا يعى.. لا يحس..

ـ ... اراك تستعد لأستقبالهم.. هل أقتربوا..

ـ ... اسرع... قف عن جوارى نتلقفهم.. اسمع دبيبهم خلف تلك اللقطة..

انظر.. انظر.. هاهم.. (يصرخ إليهم).. يا (زارا).. يا (ميزيا)... يا (معتز)..

ينتبهون الى مصدر الصوت فى الصالة .. يهللون فى فرحة عارمة:

ـ آآ.. با... آابا...

ـ اقفزوا.. أقفزوا... قبل أن تضيع...

....

....

....

أستأذن (عزيز) فى الخروج الى غرفة المكتب المجاورة ـ حتى لا يحرجهم ـ مدعياً أنه سيكون فى أنتظار رفاقه وتلاميذه من العلماء الذين يجيئون للقاء العالم الضيف، يستفسرون عن أمور تشغلهم.

بينما فرش الضيوف سجاد الصالة ـ بعد أن ازاحوا المقاعد جانباً ـ في قعدتهم البدائية حول الأطعمة والمشروبات التى أعدت لهم.. يأكلون في بطء... يهضمون في عسر..

سأل ولد (دابو) زوجته:

ـ ... هذا الطفل ذو القبعة القوقازية يأكل في شراهة.. لا يتكلم لغتنا.. من اين أتاكم يا (زازا) ؟

ـ ... لعله هارب من الطلقات النارية التى تملأ شريطهم الافغانى الذى يسبقنا، فجاء يختبئ مع الأطفال في شريطنا...!!

ثم عاد يسأل (ميزيا) أخته:

ـ أنى أفتقد ريح أبى.. هل فعلها؟

ـ .. ما أن أحس بتخلفك عن الركب.. وانحسار قيدك الذى تطوقنا به.. حتى ركب حلمه القديم.. يسبق الموجات الأثيرية التى تنقلنا الى البلد الأمين.. يؤدى مناسك العمرة.. وهناك.. وعدنا بأن يعود... ودعنا... وقفز...

ثم توجه بالسؤال الى ابنه:

ـ .. وأنت .. اين آخوك يا (معتز) ؟

ـ ... سأعترف يا أبى.. فلا تغضب..

ما أن لمحناك تقفز من الشريط، حتى سولت لنا انفسنا أن نفعل ما تريد.. فهربنا الى الأشرطة النائمة عن جوارنا... نطالع العالم السعيد..

الاوسكار.. المونيديال.. الويمبلدون... ورقصات السمبا... وما أن اقتربت الموجة التى تحملنا من أحدى الأطباق التى تغطى أسطح المساكن المميزة... حتى نهرنى أخى كى لا أتبعه... وقطع على عهدا بألا أخبرك..

ـ فلا تغضب يا أبى... سوف يعود...

ـ لا عليكم.. لا تنزعجوا بما أفصحتم.. سوف أعود معكم.. ونعود جميعا الى بيتنا...

والآن.. يمكنكم ان تتضجعوا.. تستريحوا قليلا من الوقت، حتى التقى واصدقاء لى فى المكتب المجاور.. تصرفوا فى صمت الى أن أرجع اليكم... واستعدوا لمواصلة الرحلة فى النشرة القادمة بعد ساعة...

...

....

....

أستقبل (عزيز) فريقه من العلماء عند باب الشقة الخارجى.. صحبهم الى حجرة المكتب مباشرة، حتى لا يعبروا الصالة.. يحرجوا ضيوفه الذين يفرشونها، يغطون فى تعبهم.

جلسوا حول مائدة الاجتماعات طبقا لدرجاتهم الاكاديمية كما لو كانوا فى مركز البحوث المتطورة.. همس احدهم فى اذن الذى يجاوره:

- .. لقد نقل كل تفاصيل مكتبة هناك الى بيته..

ليرأسنا دائما!!

دخل عليهم ولد (دابو) .. قاموا يستقبلونه.. يصافحونه.. يصافحهم.. يجلس بينهم.. يعرف الاسماء .. لم يلتق بها من قبل..

- هم مستقبل البحوث فى أيامنا.. اما رفاق دربنا، فقد أختلفوا فى الحياة..

- .. اعرف يا عزيز.. لا تسهب.. قرأت كل ما تريد أن تقول فى عينيك، حتى مواقعهم..

ولكن.. اين (صميده) ؟.. لقد تأخر!!

- .. لكنى لم أدعه؟ ولم يعلم بوجودك!!

- .. انه يسبق فضوله فى طريقه اليكم.

لم يكمل الضيف كلماته حتى رن الجرس الخارجى رنينا. عرفه (عزيز)، فهب مذعورا، يفتح الباب.. والضيق يملؤه..

- .. أهلا دكتور (صميده) .. كيف عرفت؟

- .. قلب المؤمن.. (قال ساخراً ثم استطرد متلهفا) .. هل بدأتم؟.. وأين صديقنا؟

اندفع القادم الى حجرة المكتب - كثيرا ما تطفل عليها - قبل أن يأذن له صاحبه بالدخول.. وأتجه الى الضيف مسرعا.. يتلقفه فى احضانه..

يغمره بالقبلات، يؤكد للحضور اواصر الصداقة التى كانت تربطها يوما فى (اكسفورد) ..

- ولد (دايو) .. (ابن المعجزات) .. أخبارك؟

- .. لم تتغيرّ بعد يا (صميده) بالرغم من الشيبّ الذى يطوق صلعتك..

...

...

شدهم الذهول الى مقاعدهم.. قطرة فى بحره مازالو.. أجاب عن كل الأسئلة التى تعتمل فى رءوسهم.. يحيرهم، دون ان يتفوهوا بها.. يخص كل منهم بشفرة خاصة.. يخط بعينيهّ الحلول والرسائل فى أوراقهم على المائدة .. ويبقى سر الكلمة.. لا يقرأها الا صاحبها..

● دكتور (طلبة) .. يمكنك استخدام تلك المعادلات السبع التى وضعت لك خطا تحتها فى الكتاب امامك.. لم أفتحه.

● دكتور (صبرى) .. سلخت عمرك وأيامك تطعم احلامك الجائعة من العلم والمعرفة.. هناك أناس يعرفون أكثر مما تعرف.. ارجع إليهم.. وهذا دليلك..

● الحاج (اسماعيل) .. تعرف انها حقيقة.. فقط عليك الرجوع إلى اسرار الكلمات.. الحروف.. الارقام فى كتاب...

● دكتور (عزيز) .. يجب ان تكونْ أنسانا أصفى وأعقل.. لا شىء ينتهى.. أرجع الى مذكراتى معك أيام (اكسفورد) ...

● دكتور (صميده) .. تكفى نوادرك .. ان العالم ليس فى حاجة الى هموم أكثر ومصائب أعمق .. أعد جميع الحسابات فى نظريتك الأخيرة، بدء من المعادلة ... تضاءلوا فى حضرته .. يعرف الكثير فى شفافيته القديمة .. أثراهم بملاحظاته العلمية البعيدة .. وهزهم خلقه الرفيع ..

لم يتردّد فى سخافات .. يلعن .. يغضب .. ينقم على المحنة التى يلبسها فى أسماله البالية .. وعائلته فى الصالة، تتجرع الصبر. فقط .. يردد أغنيات الأمل على مسامعهم ..

قال (عزيز):

- .. معذرة إن تجاوزتُ .. لكن كيف أنبأتنا بمجئ صميده الينا ثالث (عيونهم):

- نعرف نوادره .. ونريد قصته.

- ستركم الله .. لا تحرجوني.

- .. بل أستحلفك أن تفصح قبل أن يطوقنا اللغز بعد رحيلك.

- فعلها .. من فعلها ...

قال (عزيز) غاضبا وهو يحملق فى عيون فريقه:

- جمعتكم على المعجزة .. وتخونوني؟

- .. بل أنت من فعل.. لقد طفح الرقم - الذى كنت تحاول ازاحته من رأسك - فوق جبينك.. يرجونى أن يكون بين من تستدعيهم للقائى عبر الهاتف...

فأذنت له..

تسمروا فى دهشتهم، فطالبهم أن يركنوا للصمت.. يحبسوا الأنفاس، حتى يرهف السمع الى الرسالة البعيدة تأتيه.

- .. أنهم يفتشون دهاليز (ماسبيرو) .. يبحثون عنا.

يجب أن أعود وناسى الى شريطنا قبل ان يمسحوه فى حرجهم والفضيحة، فكثيرا ما تناقلت وكالات الأنباء.

.. اخبار أولئك الذين هربوا من كوارثهم.. يفزعون العالم بحق اللجوء..

....

هب واقفا فى ذهولهم... يودعهم:

- الزموا أماكنكم.. ولا تزيدوا.. سأخرج اليهم وحدى أوقظهم من رقدتهم.. أصحبهم من جديد.

محاولة..

الزيارة..

خشوع..

رائحة الكفته..

القربان.

التفاضل والتكامل..

(محاولة)..

واثق الخطوة، ممشــوق القــوام فى زيه المهندم.. يمشى، يقطع الطريق الممـتد أمامـه من (بدايتـه / نهايتـه).. لا تنحرف قـدماه عن المحور المستقيم الذى حدده.

لوقع خطواته على الأسفلت دبيب خاص، لا ينتبه إليه الماره الذين يملأون مساحـة المكان، وبالرغم منهم جميعا، يخترق الشعاع الساقط من عينيه كل الفراغات الممكنة، ليرصد المدخل الكبير للمبنى الضخم الذى يقع فى منتصف المسافة بالضبط.. وفى لحظات محددة يعرفها، يسرب شعاعا طويلا ممتدا إلى نظيره البعيد، القادم من الاتجاه الآخر، ممشـوق القـوام فى نفس الزى المهندم، يمشـى.. واثق الخطوة، يقطع محور الطريق نفسه من (نهايته/ بدايتـه).. يسرب من عينيه شعاعا.. يلتقى مع الآخر فى بؤرة الأنفاق (الزمانية والمكانية)..

وبعد خطوات متناظمة الإيقاع.. متساوية.. متزامنة.. يلتقيان عند المحور الرأسى، الذى يشطر المدخل الكبير للمبنى الضخم..

تتحد الأشعة الساقطة من أعينهما صوبة.. ثم يتبادلان الأسئلة، والاحتمالات الغير مرئية..

- هل ...؟

- لا ....

ثم يواصلان العدو كل فى إتجاهه، حتى إذا وصلا إلى أطراف الطريق.. إلتفتا من جديد يركبان المحاولة فى تغيير الأتجاه.. يتابعان خطواتهما والمدخل الكبير، حتى إذا بلغا المحور الرأسى، تتحد الأشعة، يتبادلان ما كان منهما..

- هل....؟

- لا ...

ثم يواصلان العدد كل فى إتجاهه.. يركبان دورتهما المألوفة.. لا يعيرهما أحد أهتمام ... فيدوران.... ويدوران..

هدهما التعب... لم يعرفا عمر المسافة التى بلعتهما، ولا طول الزمن الذى نخرهما..

يلتقيان عند المحور الرأسى الذى يشطر المدخل الكبير للمبنى الضخم.. تتحد الأشعة الساقطة من أعينها.. منهوكة، تعبة، فزعة تلك المرة..

وقبل أن يبدرا الأسئلة والاحتمالات كالعادة، يصلبهما الخوف، الجاثم فوق أنفاس المكان، يشدهما الى الأسفلت، يزلزل الأرض تحتهما.. فأنطلقا.. كل يجرى فى أتجاه، بعد أن بلغهما صوتهما الواحد، الغير مرئى..

- أجرى.. يا عبدالله..!!

الزيارة..

- .. «أخبرى أمك، أخوتك الصبيان والبنات، بأننى زعلان لأن أحداً منهم لم يزورنى.. وحشتونى يا ولاد.. أريد من يؤنس وحدتى.. سوف أرجع اليك مرة اخرى، لمعرفة الرد..».

هذا ما أخبرتنا به أختى الصغيرة، ونحن نلتف حولها فى صرختها الكابوسية، التى نفضتنا جميعا من نومتنا فى جوف الليل، تضمها أمى الى صدرها.. تهدهدها.. تمسح دموعها الصغيرة.. ثم تعاتبها فى غضب وكأنها أتت شيئا منكرا:

- لماذا .. أستمعت اليه؟

- .. فرحت.. عندما نادانى بأسمى.. أول مرة يكلمنى.. فرحت .. بابا.. بابا...

نعرف أن الصغيرة لم تدرك الملامح والتفاصيل، فقد رحل أبى قبل أن تخرج من الاحشاء إلينا...

- .. يلبس الأبيض.. صوته أبيض.. شكله أبيض.. تماما كما فى صورته بالصالة..

تضمها أمى الى حضنها بقوة.. تغمرها بالقبلات.. تتحسس رأسها.. «البنت سخنة نار».. ثم تنهض واقفة.. تلتف الصغيرة لأختى التى عن جوارها .. «انا رايحة، أجيب لها أسبرينة، ولبوس من التلاجة».

وتخيلت حديث أبى للصغيرة - والذى لم تدركه من نبراته التى تملأنى (يقولون أننى أشبهه تماما) - ولماذا إختارها من دوننا لتحمل رسالته لنا:

- أنت الرأس الوحيدة فيهم والتى يمكننى الوصول اليها.. نقية.. شفافة مازالت... بينما تعشعش الخفافيش.. الغربان.. البوم.. تسكن النتوءات اللزجة بهواجس أيامهم..

وبينما أنا فى هواجسى مع نبرات أبى الراسخة فى كيانى، يأتينى صوت أمى زاعقا.. غاضبا.. فأهرع من فورى، أرقبها من فتحة الباب الموارب.. ألمحها، تقف فى الصالة، أمام الصورة التى تزين الجدار، تفرش وجوده الدائم بيننا.. تصرخ فيه بعتابها القديم، كما كانت تفعل معه فى أيامها الخضراء من قبل..

- .. ايه حكايتك يا عبدالله.. باين عليك فاضى.. مش لاقى حاجة تعملها.. سيب البنت فى حالها، وسيبنا فى حالنا...

عندك.. أمك وأبوك، هناك بسلوك.. ولا روح لأختك.. أهى قاعدة لوحدها.. تعبانه.. من يوم ما جوزها راح عندكم..

ضحكت بالرغم منى.. تنبهت لوجودى بجوار الباب الموارب.. حاولت أن أخبرها بأن أيام الشجار القديم قد ولت.. لكنها لم تعرفى التفاتا.. تمسح دمعة هاربة فوق خدها.. تستمر فى نبراتها الحازمة وهى ترمق الصورة:

- «طول عمره.. ما يجيش اللى بالعين الحمرة»..

خشوع...

الخشوع يدثرنا، ويملأنا دفء المكان... تجمعنا أستقامة الجوار خوفا وطمعا، ولأن الله لا يحب الصف الاعوج..

قال الأمام: استووا ... فأستوينا...

وقفنا خلفه يفرش عبق تلاوته، تمسح كل الهموم الراكدة فوق الصدور، وقلوبنا تستقبل.. (الله اكبر)..

وتنحنى الصفوف إلى الركعة الأولى... أثبت اليدين فوق مفاصل الركبتين.. (سبحانك ربى العظيم... سبحانك..!!)

أصطدمت عيناى، بعينيه الصغيرتين، يصوبهما الى وجهى.. يتفرسنى من جلسته.... كيف أخترق استقامتنا؟

باغتنى فى دهشتى: (انتو بتعملو أيه؟)

وصلنى أنتباه الذى عن يمينى فى ضحكته المكبوتة، أحسها فى تردد جسده الملاصق لى..

رفعت يدى اليمنى من فوق مفصلى.. أبحث عن الخد الصغير.. أربت عليه، لعله يفهم فيفسح المكان أمام سجدتى التالية..

أصطدم الكف بالخد تحت الذعر من حركة يدى المفاجئة.. فصرخ فى رنين اللطمة: (أنت بتضربنى ليه.. آه.. آه.. أبوووبا)..

- (سمع الله لمن حمده)..

رفعت أنحنائتى، رفعته معى.. لقفته للذى عن يمينى، فسلمه إلى جاره، وفي آلية تلقفته جميع ايادى الصف المستوى، وفى حركة سريعة خاطفة أودعته فى ركن قصى بعيد.

- (ربنا ولك الحمد والشكر)..

وفى استعدادنا للسجدة وصلنا نهنهته ووعيده الصغير: (لازم أعوركم).

- (الله أكبر)..

تصلنا عالية منبهة.. فنحبس أنفجارنا.. ونسجد خلف الأمام..

رائحة الكفته ...

أحساس بالنشوة يغمرنى وأنا أتناول الرغيف من يده .. قبضت عليه بقوة، بعد أن لففته قروشى التى أدخرتها من مصروفى الصغير.

أنطلقت الى الحديقة المظلمة القريبة من المكان، هاربا من عيونهم الجوعى..

كنا نشترك (أربعتنا) فى شراء رغيفا، نقتسم لقيماته ـ التى لم تشبع أى منا ـ فى طريق عودتنا الى بيوتنا كل يوم بعد انتهاء الدرس فى القسم الليلى..

رائحة الكفته تنطلق من أسفل الى أعلى، فتسيل اللعاب فى البلاعيم الصغيرة.. تتوه مفردات الحصة فى سحابة الدخان الكثيفة التى تملأ ارجاء غرفة الدرس التى تعلو المطعم.

قال الاستاذ ذات يوم وهو يقرأ الحرمان فى عيوننا:

- أنتبهوا لدروسكم جيدا.. تنجحوا.. تكبروا.. تتوظفوا.. تشتروا .. تأكلوا ما شئتم من اللحم.. والكفته..

لعلهم يدركون الآن أننى قد غدرت بهم، فيقطعون كل الشوارع بحثا على.. أعرف أنهم سيخاصموننى فى الغد لفعلتى..

لا يهم.. سوف أخترع لهم أكذوبة وا.. لكننى الآن لا أريد ما يعكر صفوى، أو يقاسمنى حلمى..

توغلت داخل الطرقات التى تفصل بين أحواض الزهور فى الحديقة النائمة.. أمشى ملكا.. لخطواتى رنين محبب فوق البلاطات البازليته.. رغيفى فى قبضتى اليمنى، وكتبى فى اليسرى، وعلى البعد المقعد الذى أقصده شاهدا على موقعتى.. وقبل أن أصل اليه أتجهت الى الشجرة الضخمة التى تنزوى فى ركن قصىّ.. اتخلص من قلقى الذى يعكرنى.. أفرغ حمولة المياه التى تملأ مثانتى.. أتبول خلفها..

الرغيف فى يمينى أرفعه الى صدرى.. الكتب تحت أبطى.. وبيسراى أفتح أزرار البنطلون.. لا حاجة بى للخجل.. فلم يكن هناك من يرانى..

لكنى أشعر بحرارة أنفاس غاضبة، تزمجر خلف أذنى.. وثب قلبى الى فمى.. أستسلمت لمصيرى، وقبل أن ألتفت الى ماهيته، إذا بى أراه امامى، كلبا ضخما ذا أمخالب حادة... يلف حولى وأنا فى وضع لا يسمح لى بالحركة أو حتى الدفاع عن النفس..

تكاد تلتصق أنفه بالرغيف.. يتنفس رائحة الصيد بعمق من منخاريه.. ثم استدار ليقف على بعد خطوات منى.. يحدق النظر الى ما فى يداى .. يرقبنى..

سمرنى الخوف فى مكانى وأنا أحسب لقفزته صوب أى غنيمة يعوى لها..

تمنيت لو يمر أى عابر تلك الناحية، ينتشلنى من ورطتى..

ينقذنى من رحلة الواحد وعشرين حقنة المرعبة..

ليتهم كانوا معى الآن..

لوحت بالرغيف فى يدى.. فرصدت أنفه أسباب هزيمتى.. فطوحته بزراعى الى أبعد نقطة ممكنة.. سيقنى اليها فى قفزات سريعة متلاحقة..

جلس الكلب على قوائمه الخلفية، بعد أن دار حول الرغيف.. يشم رائحة الغنيمة.. وقبل أن يأتى عليها، أمعن النظر إلى وأنا ألملماطرافى داخل البنطلون.. قال فى حركة رأسه.. يمكنك أن تنصرف.. وقد سرنى هذا..

تطلعت حاسراً الى مقعدى الذى لم أبلغه..

لمحتهما.. فرحت.. رجل وأمرأة.. يتطارحان الغرام.. لا يحسان بمأزقى.. فجمعت بقايا شجاعتى. أودعتها فى نداء قوى.. أنبهما الى مكانى، ليهبا إلى نجدتى.. (الحقونى) .. فأنطلقا.. يجريان فى ذعر الى الخارج خوفا من صرختى التى تفضحهما.. خذلانى... نبهنى العواء الغاضب حولى الى فعلتى الحمقاء.. فأنطلقت فى أثرهما.. والكلب خلفنا

القربان...

« يا بنى .. انى انتظرك عند مرفأ الوعود المرجأة.. ارجع الىّ.. وأسكب همومك جميعاً تحت أشجار الصبار الظمئ.... ترتشف عودتك» ...

«يا أمه أنا لازم أشوف حالى.. كل صحابى سافروا بره.. كفاية فقر بقى وتثيرنى احلام اليقظة المفزعة. وأنا فى ترددى.. احمل مصيرى قربانا لجريمة لم اقترفها بعد..

وعسى ان تكرهوا... سنوات عجاف طويلة.. تأكلنى.. بعدها «الاستاذ راح.. الاستاذ جه» .. «اثبت مكان يا جندى» ...

«ثابت يا فندم» ..

وألبس احلامى الوردية درعاً يقينى.. سهام النقمة وطعنات الغضب.. «لقمة هنية.. تكفى ميه» ..

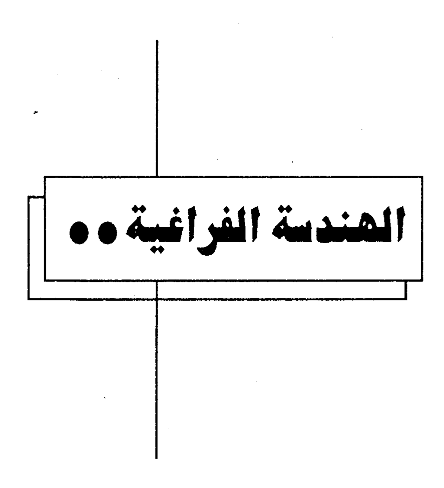
فـأركب شيطانى.. «بخلو ولا تمليك».. واطبق شـفـتـاى على الرد اغتاله قبل الميلاد.. احلق فى المالا نهاية .. «والعين بصيرة».

اسبح فى دوامة هواجسى.. اخترعالحيلة لإغتيال النبؤة .. أبحث عن قرار مكين يحتوينى من جديد.. لا يبصقنى فى وجه الحياة مرة اخرى...

واحتضن وحدتى.. أبلع احلامى الزائفة فى ضوء القمر المخنوق وتتحطم الأشعة المتسللة فوق القضبان.. والجدران تقتل النور.. والرقم فوق صدرى يقتلنى... «حكمت المحكمة على المتهم...» وتصرخ أمى «الباسبور جاهز.. وكله تمام يا صاحبى».. لم اهتم كثيراً لكلماته فقط أريد طريقاً يعصمنى من القحط.. و «الإيد قصيرة» «مش ممكن أسيبك فى الحالة دى.. بحبك... بحبك...»

ولأنى أحبك .. اطلق يديك.. أحررك من أسرى...

- سينوغرافيا
- الساعة
- الضيف..
- السيدات..
- ميعاد..



(سينوغرافيا / الساعة..)

انطلقنا الى الميدان الكبير فور تلقى تلك المكالمة، مجهولة الاصل.. وفى اثرنا كل الجهات المسئولة وغير المسئولة.. المعنيه وغير المعنيه.. تخترق الجموع المحتشدة منذ الصباح الباكر.. تفسح لنا مكانا بينها..

نرصده من اسفل.. نلمحه على البعد الشاهق.. يقف فوق النتوء البارز فى واجهة المبنى، عاريا الا من سرواله الداخلى.. وفانلته.. يرفع بيديه ساعة الميدان التى قام بفكها وخلعها من مكانها.. تخفى ملامح وجهه خلفها.. لا تفصح عن هويته..

....

....

«انزل يا ضناى.. انزل.. بنتك رجعت ومعاها عريسها.. والساعة، والحاجات اللى سرقوها.. ايوه.. الولد اتجوزها على سنه الله

ورسوله.. الحكومة من عرضنا .. أنزل بقى يا (خويا) .. ريح قلب أمك.. وربنا أمر بالستر..

....

....

سيداتى.. آنساتى .. سادتى.. السلام عليكم ورحمه الله وبركاته... من هذا الميدان الواسع النموذجى التخطيط، والذى يشرفنا فى كل المحافل الدولية، ليؤكد أصاله حضارتنا التى تمتد سبعة آلاف سنه فى التاريخ... وأمام هذا الحشد الهائل من الجماهير التى تركت أعمالها ومصالحها لتحتل المكان منذ ساعة مبكرة...

يسعدنا ان ننقل اليكم على الهواء مباشرة الوصف التفصيلى لوقائع هذا الحدث فى برنامجكم المفضل الذى تنتظرونه كل يوم.. (خبر الساعة)... ومن المصادفات العجيبة أن يرتبط خبرنا اليوم بساعة الميدان النموذجى.. والتى تعد من تحف العالم النادرة ... بشهادة صندوق النقد.. والكومنولث.. وكل خبراء التغذيه.. و .. وملكات جمال الكون..

ويسعدنا ان يكون بيننا الان الدكتور (عزيز) المفسر الكبير للظواهر الخارقة وغير الخارقة - استاذ كرسى (الساعات) فى جامعاتنا، والحاصل على نوط (خبير كل الاشياء الممكنة) من جامعة (بمبه) الغربية المشتركة - ليمتعنا بحديثه الشيق المعتاد، وليفسر لنا تلك الظاهرة، والسبل الممكنة للتغلب عليها، والضمانات اللازمة لعدم تكرارها.. ولا يسعنا الا ان نضم الاستفهامات التى تطل من رؤس أسرة البرنامج الى

اسئلتكم الجادة.. ونتوجه بها الى ضيفنا الذى نسعد بلقائه الان... مساء الخير.. أعزائى.. وأنتهز هذه الفرصة النادرة لتوجيه الشكر الى أسرة هذا البرنامج الجماهيرى الناجح الذى يقف دائما فى موقع الحدث.. يحلله.. يفنده .. يربطه بكل أسباب الاصالة والمعاصرة..

واتوجه بكل الدعوات الطيبة عبر الأثير الى زميلنا الدكتور (صميده)، والذى ينزل بمستشفى (أمل حياتى) .. دعواتنا له بالشفاء العاجل.. فلولا وجوده هناك ما كنت معكم الان...

وبعد.. اعزائى..

نحن الان أمام.. رجل وساعه.. ويمكنكم بسهولة تفسير تلك الحالة لو أسرعتم الى باعة الصحف.. ستجدون كتابى الأخير.. (الهوس والاكتئاب) .. ينام على الارصفة او تحت الكتب الاخرى.. لم تنتبهوا اليه اعزائى، حتى ملئكم الخوف والذعر.. ولا ذنب لى.. فأى اى نظام فردى هو دائما بناء تعسفى وان العمل الجماعى وحده يمكنه ان يصل الى هذا النظام العام.

وهنا تزحمنا الاجابة قبل ان نبادر بالسؤال.. والسؤال الساذج.. هو السؤال الحقيقى.. مثل السؤال البرئ، الذى يزعج به الطفل عالم الكبار، لانه مازال ينعم بحرية الدهشة التى تنوء بعبء الاجابات السابقة..

- سيداتى.. آنساتى.. نكتفى بهذا القدر من الحديث الشيق مع الدكتور (عزيز) والذى غطى جميع استفساراتكم.. وينتقل الميكروفون

الآن الى زميل آخر (فى الركن البعيد الهادى) لمتابعة أحداث تلك الواقعة فالى هناك..

....

....

- «ياما نصحته.. حط فلوسك فى مشروع صغير.. افتح لك ورشة.. انت صنايعى قد الدنيا.. وتعبت كثير فى بلاد الله، لغاية ما لميت القرشين.. ماسمعش كلامى.. قاللي .. ساعة الحظ ما تتعوضشى.. (والسعد) .. وعد..»

....

...

- كيف صعد الى هناك؟

كان للسؤال وقع المطرقة فوق الرؤس المحتشدة ينبهها الى الواقع الغائب، بينما ذاب السائل فى سؤاله تحت الاحتمالات القائمة..

- .. اعتقد انه تسلق سلما بارتفاع عشرين مترا على الأقل ليصل الى هذا المكان.. (قال رجل رزين).

- لا أعتقد.. لأنهم لم يعثروا على أى سلم فى الميدان.. وان كنت اعتقد انه نزل من سطح المبنى بواسطة حبل، لا يزيد طوله بأى حال عن سبعة أمتار.. وكما تعلمون..

(الحبل هو الحل)..

(قال شاب فى حماس)

- لكنهم لم يجدوا أى حبل فوق السطح.. وهنا لا يبقى سوى احتمال واحد، وهو تسلق الجدران..

(قالت فى ابتسامة واثقة)

- انظرى امامك يا (آنسه).. الحيطان رأسية، ملساء.. فكيف يكون ذلك؟

(رد شاب ساخرا، يريد ان يلفت نظرها اليه)

- .. ربما تزحلق على الجدار الاملس من ناحية السطح.. (قال رجل أصلع، وهو يحرك يده فوق صلعته، مؤكدا احتماله).

- .. صحيح.. كيف صعد الى هناك؟

تتساءل الاصوات المتداخلة وتتعلق العيون الى أعلى، فضولا واستطلاعا، لعلها تتصيد الاحتمال الغائب..

....

....

- «خلاص يا حبيبتى.. المشكلة اتحلت.. ربنا وقف لنا ولاد الحلال عند باب الشهر العقارى.. ازاى يا راجل تبيع بنتك لرجل كهنه، ده حايموت قبل ما يوصل بلدهم..

راحل بابا رامى فى وشه - الساعة الالماظ.. وقال له: انا ماعنديش بنات للجواز... والبنت ها ترجع لخطيبها..

خلاص يا حبيبتى.. آدينى رجعت لك تانى.. انزل بقى،..

....

....

- اقفز يا مواطن.. لا تخف

انطلق البوق فى يد الضابط الكبير، يقذف النداء عاليا

- اقسم بشرفى العسكرى.. (ورحمة أمى) بأننى سوف أشرف بنفسى على حل مشكلتك .. فقط.. دع الساعة فى مكانها.. وأقفز الينا..

- الضابط خائف من فشل المهمة، وحركة التنقلات على الابواب...

همس جندى - من الذين يشدون المخدة المطاطيه الكبيرة منذ الصباح الباكر - فى أذن زميله الذى كاد يسقط من الاعياء والترقب وهو يتمتم:

- ربنا يعديها على خير.. ده احنا لسه عندنا (ماتش) فى (الاستاد)..

ويصرخ الضابط فى البوق متوسلا وغاضبا تحت انفلات الاعصاب:

- انزل يا مواطن.. ربنا يهديك.. أنزل يا أبنى.. أنزل يا حبيبى.. أنزل يا ابن (الكلب) ورانا شغل تانى..

....

....

ـ فاسقا كان.. لعنة الله عليه.. يعمل بالوردية الليلية فى المصنع الكبير.. يرتكب آثامه وفجوره فى خروج زوجته الى عملها صباح كل يوم..

دخلت عليهما فجأة.. ألجمتهما المفاجأه.. صرخت فيهما.. سأقتلكما... اخذت تقذفهما بكل ما يقع فى يدها...

تلقف (المنبه) الذى كاد يطيرْ رأسه.. فر هاربا فى ملابسه الداخلية...

ـ ...ومن ا لذى أخبر الزوجة بخيانة الزوج لها؟

ـ انه ذاك الشاب الطيب.. الوسيم الطالع والذى كان يتردد عليها يوميا بعد ظهر كل يوم فى غياب الزوج!!

.....

.....

ـ .. سيداتى .. آنساتى.. سادتى.. مازلنا معكم.. ويسعدنى أن التقى بكم من هذا الموقع المميز..

ويسرنى أن اقدم اليكم هذا السيد الوقور، الذى أصر على أن يخترق هذا الحشد بكل ما أوتى من قوة حتى يصل الينا، ويقسم بأن عنده علم اليقين...

ممكن تقدم نفسك للمستمعين..

(يعدل الرجل من هندامه وهو ينظر الى دائرة الفضول التى ألتفت حوله.. فيطلق زفيره قويا يحركهم الى الخلف قبل ان يتلقف الميكرفون).

- .. على الطلاق لأقول الحق.. ولا شيء غير ال حق.. أنا أسمى الحاج حسن (الأطرش) .. عشان مابحبش أسمع الأغانى الهابطة.. تاجر (موبليا) قد الدنيا.. وببيع بالتقسيط .. للفقراء بس.. أى والله للفقراء بس..

والمحل بتاعى فى (البياضة)*، جنب دكانه (اللالى)....

- .. يا حاج (حسن) .. أحنا عاوزين حكايته.. مش حكايتك...

- أى والله.. كنت حا أنسى يا أستاذ.. ده ولد ماجابتوش (ولاده) .. طول عمره.. نزيه .. شريف.. من بيته لرزقه... ومن رزقه لبيته.. (نقاش) على قد حاله.. ما حدش يسمع له حس فى الحتة.... أمير.. ابن أصل .. .. مارضييش يتجوز بعد المرحومة مراته.. كانت ست ولا كل الستات.. وقعد يربى ابنه.. لغاية ما جاب معاه ساعة الشؤم..

- ايوه يا حاج.. احنا عايزين نعرف ايه حكاية الساعة دى؟

- ايوه.. من فرحته بالساعة الجديدة اللى اشتراها عطاها، لابنه حبيبه، يلبسها شوية وبعد شويتين رجع الواد، والساعة مكسوره...

قام برج من نافوخه طار.. وقعد يضربه.. يرفعه ويزرعه على الأرض.. لغاية ما الواد راح فطيس.. مات..

- سيداتى.. آنساتى.. سادتى.. قبل ان ينتقل الميكرفون الى موقع آخر من جمعنا الرشيد.. اتوجه بالشكر الى الحاج (حسن).. الذى أضاء لنا الجوانب المجهولة لتلك الشخصية المغلقه... وبالمناسبة يا حاج تحب تسمع ايه؟

- .. والله.. أحب أسمع أغنيه.. (حسن زعبولة.. ماشى يدلع.. يشرب م القله) .. واهديها للست الحاجة.. حرمنا.. عشان بتحبها قوى.. وترددها كثير فى وجودى.. على فكره يا أستاذ.. أنا حجيت سبع مرات...

....

....

- يركن دائما الى مقعده الاثير فى بوفيه الجامعة - بعد أن هده التعب فى رحلة البحث عن وظيفه منذ أن تخرج من سنين بعيدة - يرقب الساعة الشامخة، يحسب دقاتها .. يضبط حلمه.. تخرج.. تزوج.. فتاته الاولى.. الثانية - .... والعاشرة.. أرسل مأساته - عشرات المرات - الى باب (افتح لى قلبك) .. يصرخ.. يستنجد.. (أريد حلا). يصله الرد أخيرا.. (لا حل لمشكلتك.. أنتحر) .. وها هو الولد يعمل بالنصيحة... لماذا تزعجوه اذن؟

....

...

- «ضيعه الادمان، أطاح بعقله.. بدد ما يملك .. باع (عفش) بيته.. ملابسه.. وساعته».

.....

....

اختلطت المشاعر من جديد وتوتر كل شيء.. مزيج غامض من الدهشة والامتنان والخوف .... وفى الرعشة الاخيرة.. ينطلق الرجل الى أعلى حاملا ساعته..

وتفسح له السحب البيضاء التى تملأ السماء مكانا بينها.. بينما تفرش الدهشة حصيرتها تدمدم على الأرض، تحدث أصواتا مكتوفه.. فتدور فى العقول عناصر مبعثرة وفوضوية..

ماذا يحدث هنا؟؟

.....

....

الضيف....

تقدم ناحيتهم فى خطوات ثابتة، بعد أن ركن سيارته الفارهة الى الجانب البعيد من المكان.. يحمل حقيبته - الدبلوماسية المظهر - فى يسراه أنتصبوا من فوق المقاعد الحمراء المذهبة التى تملأ أرجاء السرادق الكبير.. اصطفوا فى حركة آلية... مدوا أذرعهم فى إنتظار يده، تشد على أياديهم..

ركبتهم الدهشة .. إنه أول من يتقدم إليهم بالعزاء.. ألجمهم الذهول، شدهم الى المقاعد..

تقاعدوا .. تهامسوا فى وجل، والحزن يغطيهم..

- يعرف كل الاسماء.. هل تعرفونه؟

- .. لا .. لا .. لا..

- من أين له بأسمائنا؟

- ربما كان حميما له.. فأطلعه علينا فى ألبوماته البعيدة..

- .. لكنه يشبهه تماما.. نفس النظرات.. النبرات.. الحزن الساكن..
و..و..

- .. تعرفون.. لولا وقوفنا معاً على رأس الكفن لتخاصمنا فى الحقيقة
.. أليس كذلك؟

- .. لا حول ولا قوة الا بالله..

- .. هى أضغاث أحلام تملأنا منذ هزتنا الفاجعة.

دعونا ننفضها عن هوأجسنا.. وننتظر..

ويخلق من الشبه أربعين..

يقفون.. ولا يجلسون.. يسربون نظراتهم إليه خلسة.. تصطدم بنظراته لهم.. يخص كل منهم بشعاع يفهمه.. يدركه.. يرتجفون.. يتخبطون.. يستقبلون الأيادى الممدودة، المشدودة.. ويتلقفون العزاء..

...

...

ينزوى فى مقعده بالركن البعيد من السرادق.. يتقدم منه (فراش) المناسبة، يحمل فناجين الاحزان السادة.

- قهوة؟ ... شاى؟

- .. سحلب.. أريد سحلبا..

- سيدى الفاضل.. هذا لم يحدث من..

- يمكنك أن تنصرف.. لا تزعجنى

خرج (الفراش) ساخطا الى (نصبته) خارج السرادق.. يتخبط فى الدهشة.. يخبط كفيّه.. أراد ان يخلع مهمته أحتجاجاً..

اسرع إليه كبيرهم، الذى كان يرقبهما من طابوره.. ماذا حدث.. أخبره (الفراش).. تسمر فى مكانه.. الطرقات فوق رأسه، تطوحه إلى مكانه بينهم.. يهمس إليهم..

- .. يريد سحلبا.. نفس مشروب (المرحوم) المفضل.. يسكنون.. يتزلزلون.. يسقطون على مقاعدهم.. يجهشون فى البكاء.. يلتف الناس حولهم.. يطيبون خاطرهم..

....

لمحوه يقف.. وقفوا..

جلس .. جلسوا..

مازالوا يرقبونه فى محاولة موؤدة لفهم ماهيته - وهم يتلقفون العزاء فى آلية مفرطة..

....

....

يهرع (الفراش) اليه تحت إشارة نداء من عينيه له.. (يجب أن تطيعه) هكذا أخبروه...

يفتح حقيبته.. يخرج بعض الأوراق وقلما.. يسلمها له.. يهمس فى أذنه:

- تعرف القراءة والكتابة؟

- قليلاً يا سيدى..

- أذن يمكنك أن تأتينى بخمسين أسماً..

- أسماء من؟ ... !! (تلعثم الفراش فى غرابة الطلب).

- .. المعزّيين طبعاً..

أسرع (الفراش) غاضبا الى خارج السرادق.. جرى إليه كبيرهم: (ماذا وراءه تلك المرة؟).. أخبره الفراش.. عادت النواقيس تدق فوق رأسه من جديد.. تطيرّه الى مكمنه بينهم.. يهمس لهم..

- يريد الاسماء.. كما كان يفعل (المرحوم) كلما حضر إجتماعا هاما..

يسقطون على مقاعدهم.. يبكون من جديد.. والناس حولهم..

....

همس صغيرهم فى حنق:

- إنه يستخف بعقولنا.. سأواجهه..

قال كبيرهم وهو يهدئ من روعه:

- حذار أن تفعل.. قد تغضبه.. فقط.. دعنا ننتظر..

...

....

مرة أخرى يهرع (الفراش) إليه.. يفتح حقيبته.. يخرج بعض القطع النحاسية المدورة.. يسلمها له.. يهمس فى أذنه:

ـ أعطهم (الماركات) .. طبقاً لتسلسل الاسماء فى الكشف الذى معك ..

ـ للمعزيين أيضا؟ (همس ساخرا) .

ـ نعم .. هذه الماركة .. معزى رقم (١) .. وهذه .. وهذه أصطدمت عين (الفراش) وهو فى طريقة للخارج بعين كبيرهم .. تأمره بأن يفعل ما يريده السيد الفاضل، دونما حاجة الى الخروج والعودة .. وبكائهم من جديد ..

.....

تطلع الى ناس السرادق حوله .. يطالعونه فى فضول ..

يرصدهم .. يدون الملاحظات فى مفكرته ... يصوبون نظراتهم نحوه .. يتهامسون .. والقارئ الضرير يتلو آيات الذكر الحكيم ..

ـ أعتقد إنه صحفى، جاء ليغطى وقائع الحدث .. فقد كان للمرحوم حجما فى زماننا ..

ـ ربما .. ولكن لماذا أسماؤنا؟

ـ حقا .. لم أنتبه لذلك .. هل أسأله؟

ـ لا عليك يا أخى .. دع غيرنا يفعل ..

....

- بالتأكيد.. هو (مندوب عزرائيل) .. جاء يرصد الاسماء الهاربة..

صرخ (عجوز) مرتجفا، وهو يطوح الكشف، رافضا أن يدوّن أسمه..

.....

- لا أعتقد إنه منهم.. إنهم يلبسون النظارات دائما.. ويبتسمون فى غضب..

- أذن دعنا نسكن إلى مكعب الصمت المزركش الذى يلفنا..

....

- .. ربما كان مندوبا لضرائب المبيعات؟

- .. بتهزر.. يا بن الـ (كلب) ..

....

- هذا فسق وبهتان... والعياذ بالله !!

- .. ولماذا دوّنت أسمك وأحتفظت برقمك النحاسى؟

- أهتديت بك.. فعلت مثلك حتى لا تتهمنى بالغباء والتطرف..

- قفزت الى رأسى قصة (اللورد) القديمة.. فأردت الا أضيع الفرصة..

- ما حكايته؟

- .. (أوصاهم (اللورد) بدفنه فى الساعة الثالثة صباحاً.. على أن تفتح الوصية بعد العودة من المقابر مباشرة.. ولما كان يومه مطيرا..

عـاصـفـا.. بارقـا.. راعـدا.. أخـبـروا خـادمـه أن يحـمل الـتـابوت فـوق* حصانه.. يفعلها وحده.. ويتبعه كلبه.. ثم جلسوا إلى كئوسهم.. يبددون هواجسهم.. ويحلمون.. حتى عاد الخادم ورفاقه (الكلب والحصان).. فكانت الوصية... أمـوالى وأملاكـى الى كل من خـرج فـى جنازتى).. هذه حكاية (اللورد)..

لهذا فعلتها.. داهية أنت.. يالك من مثقف!!

.....

وقف.. وقفوا.. أبتسم... أبتسموا..

تحرك ناحيتهم، تشيعّه عيون الدهشة التى تملأ السرادق.. همس فى نظراتهم الحائرة وهو يشد على أياديهم..

- أنتبهوا.. أنتبهوا.. يمكننى أن أنصرف الآن.. خرج فى خطواته الثابتة، يحمل حقيبته - الدبلوماسية المظهر - فى يسراه...

ركب سيارته الفارهة عند الجانب البعيد من المكان.. وانطلق..

....

....

....

السـيّدان....

- جئت يا (سيّد) ؟

قال الخفير الصاحى من داخل الكشك الخشبى بجوار الباب الحديدى الكبير، بينما يغط زميله فى شخيره .. يزعج اهل المكان .. ويرددون فى هذا المقام أن أحدهم قام من رقدته وآتاه يلكزه فى رأسه، يوقظه - عندما كان نائما بمفرده ذات ليلة - يتفرسه، يتوعده أن عاد الى إقلاقهم مرة أخرى... من يومها لا ينام الا فى وجود أنيس معه .. يطمئن له .. ويشخر من جديد..

- ... لماذا تأخرت يا (سيّد) ؟ كنت أغلق الباب دونك ..

- .. الليلة كانت حلوة .. والناس مبسوطة..

- ... وغنيت لهم؟

- .. أحلى كلمات المرحوم.. حفظنى أياها من أسبوع..

لحنتها بالأمس... وغنيتها الليلة..

- .. أدخل يا (سيّد).. ادخل يا خويا.. روح لصاحبك..

ربنا يلطف بك.. وبنا أيضا..ألقى (السيد) الى الخفير الصاحى بكيس ورقى - داخله بعض من فضلات الحفل الذى كان يحييه - وعليه سجائر..

ثم أنطلق.. يحمل أشياءه.. يترنح فى خطواته الهرمة.. يشطر الظلام الكثيف حوله.. تحمله قدماه الى الممرات والتنوئات التى ألفتها بين القبور.. تحط به عند مقبرة (السيد).. صديقه..

....

....

جئت يا (سيّد)؟

قال (السيد) الآخر وهو يجلس مستربعا فوق مقبرته والذى ذاعت شهرته قبل وفاته من زمن كشاعر غنائى.. يغمس قلمه فى دموعهم.. يرسم الاحلام المؤودة.. تدثر فقرهم.. تسكن قلوبهم..

لا تعيها رءوسهم... وينامون فيها...

كانا رفيقتين منذ العود الأخضر.. ضمتهما نفس الحارة.. وتختة واحدة فى مدرسة الحى الإلزامية.. يحملان الاسم الواحد..

ونفس اسم الأب.. حتى اسم الأم (أم السيد) .. لا يميزهما الا اسم الجد أحيانا.. ومن بعده.. ما هياتهما..

ركب (سيّدنا) شهادته الابتدائية الى مصلحة البريد.. يدخل فى تروسها.. يدوّرها الزمن الى محطة الفرز.. ينزل عندها.. يصنف الخطابات.. المراسلات.. يرصها.. يرتبها.. يلمسها.. يتحسسها.

يشم رائحة الناس فيها، قبل أن يطبعها بختم الاصدار فى يده.. يودعها فى طريقها الى ذويها... ويتعاطى الشعر..

ثم يركب رحلته فى الأيام .. تطحنه.. تعجنه.. تسويه رجلا.. زوجا.. أبا..

وفى بعيد أيامه.. وقف ... يقرأ كتابه..

....

كانا رفيقين منذ العود الأخضر.. ضمتها نفس الحارة.. نفس المدرسة التى لفظته بعد فك الخط.. تتلقفه الأيام..

تدوّره فى رحاها... يمضغ شوك الأرض.. ويرشف عرق الشمس..حفارا.. سباكا.. نجارا.. نقاشا.. ثم مطربا وملحنا..

يدندن، ويبرطع فى كلمات صاحبه.

«كلن أخويا.. وكان صديقى..

كل ما أجوع.. وأعطش

أبتسامته.. تبل ريقى؟؟

- .. لماذا تأخرت يا (سيّد) ؟.. كدت أرجع الى مثواى..

- ... الليلة كانت حلوة.. والناس مبسوطة..

- ... وغنيت لهم؟

- .. كما أغن من قبل.. وصفقوا كثيرا .. لى ولك..

- ... عجبتهم كلماتى أذن؟

- .. تزايدوا عليهـا وتضـاربوا.. يريدون تعبـئـتـهـا فى ألبـومـاتهم القادمة..

- .. بعها يا (سيد) .. وخد ثمنها للأولاد .. يغطى حاجاتهم

- .. يتمرغون فى خيرك..

- .. لكنهم لم يفكروا فى زيارتى.

- .. وهل فكرت يوما فى زيارة أبيك الذى ترقد فى حضنه الآن؟

- .. كنت أفعلها.. فى الاعياد والمواسم..

- .. أيامهم بلا ملامح.. لا أعياد فيها ولا دفء.. فلا تنتظر..

- دائما تنبهنى فى غفلتى..

- .. هم أيضا تطوحهم الغفلة .. لا تحزن..

- .. وحـدك.. تزورنى.. يربطك العـهـد الذى قطعناه مـعـا على أن يزور أحدنا مقبرة الآخر

الذى يسبق..

ـ .. بل يربطنى حبك..

كانا صديقين فى الدرب والخطوب.. ينازلان معا القحط والجفاف فى أيامهما الكثيرة... ويقتسمان الصبر وما فى جيبهما من قروش وملاليم.. إن وجدت..

يتبادلان السيجارة فى أنفاس متساوية، متبادلة، حتى أقلعا عن التدخين فى لحظة واحدة.. ليس للإرادة الكامنة فيهما، ولكن للعوز الذى يطوقهما...

ولكنهما... يبتسمان.. يدندنان على عود "السيد) .. وأشعار (السيد) .. حتى إذا جاء طفل إحدهما يهمس فى أذنه:

ـ نريد أن نأكل يا أبى.. تقول أمى : البيت على الحميد المجيد..

ـ ... عندك عمك (سيدً) .. أنقل له الرسالة..

كانا يعزفان لحنا جميلا، ينساب فى عزوبة.. يدغدغ كل العثرات التى تفـرش الطريق... يجـرف أمـامـه كل وعكات الألم التى تملأ الصدور... لاخصام... لأشجار..

ـ .. تذكر يوم كنت تريد لأسمك الانتشار.. فطبعت ديوانك الأول من قروش أولادك.ـ ... وأولادك أيضا..

ـ خنقت الظروف طموحنا.. فعدنا نطوف الأزقة والحوارى.. نقطع الشوارع الكبيرة.. نروج لكتاب بين أيدينا وفوق الرءوس... وأبناء الحى حولنا يضحكون فى جوعهم.. لا يقرأون.. فضحكنا معهم فى حسرتنا..

ـ .. بل تقصد فى خيبتنا.. لم نملك عملا يومها..

السوق الكاسدة تربطك إليها.. والكتاب يأخذنى للتحقيق.. يوقفنى عن العمل..

- .. فعلتك الحمقاء هى التى جرتك.. والكتاب برئ .. حتى الآن لم أدر ما الذى ركب رأسك إلى تلك الفكرة المجنونة.. تصنع أكلاشيها بأسم الديوان.. وأسمك .. تطبعه إلى جوار ختم الصادر، فوق كل المكاتبات والرسائل التى ترتبها.. تصنفها.. تنظمها .. ينقلها البريد إلى كل الأنحاء .. فتهب المصلحة مذعورة .. توقفك عن العمل شهرين... تنقلك إلى الشوارع.. تلفها ساعيا... و ... و ...

- .. وهل نسيت ما كان منك، عندما كنت تلطخ واجهات محلاتهم ودكاكينهم بخطك الردئ، تحمل أسماء قصائدى، بعد أن تقنعهم بذلك... ولأنهم يثقون بك.. يذعنون لك...

- مسمط.... (لا تبكى يا عين).

- خردوات.. (كل شىء راح).

- جزارة... (الماضى المجهول).

- حانوتى... (الطائر المغرد).

- .. وهل نسيت أنت ما كان .. وكان .. و .. وكان..

- .. لماذا... تذكرنى بذلك دوما؟

- .. اسمك الآن يملأ شارع أيامهم الذى لا باب له.. ولا شباك..

- .. تضحكنى رأسك يا (سيِّد) .. تسرد المزيد فى لقائنا كل يوم..

مازلت تحفظ التفاصيل.. بالرغم من أننى عبرت المعاش فى المصلحة والأيام..

- آه.. آه .. هذا صحيح... تضحكنى يا (سيّد)..

طوحتها الذكريات التى يبدرونها .. يصفعها الأنين الغاضب فى زمجرة الرقود حولهما .. فيبلعان ثرثرتهما فى برودة الليل.. وهفيف المكان.. يتصدعان... لايقويان على الحركة والكلام .. يخران فى قعدتهما... فيقترب أحدهما من الآخر كالعادة فى نفس اللحظة من كل يوم... فيهمس السيد للسيد:

- لماذا لاتنصرف الآن.. يا (سيد) ؟

....

....

....

ميعاد....

فى لهفة من أمرها، كانت تأكل درجات السلم فى قفزات متلاحقه.. تريد الميعاد الذى حدده لها.. حتى لاتغضبه.. تعرف أنضباطه..

وفى أثرها كان يأكل درجات السلم... التقيا أمام مدخل الشقة.. اندهشت لوجوده المفاجئ خلف ظهرها.. رفعت أصبعها قبل أن تهم بضغط زر جرس الباب..

تسأله فى لهفة هامسة :

ـ ماذا هناك؟

ـ لا أعرف.. كدت أسألك.

ـ افزعتنى ملامحه.. ونبرات صوته.

ـ .. وهذا ما أفزعنى عندما زارنى فى مكتبى..

لم يفعلها من قبل... حاولت أن أقرأ المسطور فى عينيه.. لم أفلح.. ولم يفصح.. فقط.. لفتنى ولفت زملائى.. ارتدائه لبدلة عرسه البعيد.. والقرنفلة فى عروة الصدر..

- .. هذا ما لفتنى ولفت زميلاتى ايضا.. لايرتديها إلا فى مناسباته الغالية... لكنى لمحت دمعة هاربة تفر من عينيه بالرغم منه.. لم ينتبه لها ولا لدموعى التى لحقت دمعته... حاولت أن أتبنيه.. لكنه أنصرف فى نداء المؤذن... يلحق بصلاة الظهر.. فأخذت أشيّعه من نافذة الفصل حتى دخل المسجد المجاور للمدرسة التى اعمل بها.

- لايعقل ما تقولين.. فقد كنت اصلى الظهر معه فى مسجد الشركة..

- ماذا تقول؟..!!

عهدتك لاتمزح ولا تهذى فى الأمور الجادة.. فكيف يتأتى أن يكون عندى وعندك فى نفسى اللحظة.. والمسافة بين مدرستى وشركتك بعيدة.. بعيدة جداً..

أننى لا أصدق... وماذا يعنى ذلك؟

- .. يمكننا أن نسأله عندما نلقاه.. فقط.. أضغطى الزر الذى توقفت عنه كثيرا.. دعينا ندخل إليه..

فتحت أمهما الباب.. أستقبلتهما بعد أن طبعا قبلتيهما فوق خديها..

تسحبهما همسا إلى المقاعد فى أطراف الصالة، بعيداً عن غرفته حتى لاتوقظه ثرثرتهم قبل الميعاد الذى حدده لهم.

- ماذا هناك يا أولاد.. قلبى يأكلنى؟

- لا نعرف.. وجئنا نسألك.. هل....؟

- أبداً. لم نختلف فى رحلتنا معا.. تعرفان ذلك .. عشت أجمل أيامى فى كنفه.. أبى .. أستاذى .. زوجى.. أبوكما... ربما أرادكما لأمر يخصكما؟

- هذا ما اعتقدته عندما زارنى.. أخذت أقلب دفترى.. أبحث عن الصفحات التى قد لاتروقه.. توقفت عند (سامى).. ربما فطن إلى سر عودة العلاقات بيننا مرة أخرى بعد فسخ الخطبة.. لذلك خصّنى بالميعاد.

- .. وهذا ما حسبته أيضا عند مازارنى.. ربما بلغه خبر ترددى على تلك الأرملة التى أمرنى بقطع علاقتى معها... لذلك خصنى بالميعاد.

- .. انتظرا... تقولان.. زاركما... متى؟.. وأين؟

- صباح اليوم.. فى المدرسة.. فى الشركة.

- لا تمزحا.. وعودا لصوابكما.

- لانمزح يا أمى.. ولكن الذهول يركبنا!!

- تلك حالتى الآن..

فأبوكما لم يغادر غرفته فى يومه إلا فى آذان الظهر.. أغتسل.. توضأ.. صلى فى الصالة.. أخذ قهوته.. أخبرنى بمجيئكما.. أمرنى

بأرسال بدلة عرسه إلى (المكوجى) لتجهيزها.. لم أجرؤ أن أسأله لماذا؟.. وحسبت أن لهذا الأمر علاقة بالميعاد.. خاصة عندما طلب منى وهو يبتسم.. إلا أنسى تدبير (قرنفله).. ثم عاد إلى غرفته.. يغلقها خلفه.. ينام من جديد.. هذا ما كان...

- .. لكن.. جاءنا فى بدلته .. والقرنفلة..

- ماذا تقولان؟....!!!

ألجمتهما الدهشة.. شلتهم فى مقاعدهم.. تفرش حصيرتها.. تجثم على أنفاس المكان.. فتزوغ عيونهم فى سكون اللحظة.. ويرتطمون فى صمتهم فى هوة من التساؤلات.. تتبدد.. تنبسط.. يختلط بعضها ببعض.. تغوص فى ميوعة المجهول... والمعنى الأخرس كائن فى المكان...

......

......

دراسة :

محمد قطب

قراءة فى مجموعة المسائل

محمد قطب

المسائل : مجموعة قصصية للأديب محمد عبدالله عيسى، كتبها على مدى زمنى يقترب من عقد من الزمان، تبدى ذلك فى تنوع المادة، وتغاير الأسلوب، وطرائق التعبير الفنى.. وخرج قليلا عن همومه التى فاض بها أدبه حول أدب الغربة والمقاومة. والحنين إلى موطن الميلاد.. وإذا كانت إقامته فى الاسماعيلية انحنائة نحو رصد المتحولات الاجتماعية أثناء الحرب وبعدها فإن الحنين إلى الاسكندرية يحمل أبعاداً تضىء جوانب الذات المبدعة، وتكشف عن تجارب ذات طابع إنسانى وجميل.

ولقد وقعت «المسائل» فى منطقة وسط بين هذين البعدين.. حتى اختلطا معاً، وأثرت التحولات الذهنية/ الاجتماعية على تحديد منسوب الرؤية التى اتسمت بالذاتية، وبالتغير، والنسبية حتى بات الحلم حقيقة، والموتى أحياء يتحادثون، والموجات أشخاصاً يتجسدون ويزاحمون مجال الرؤية. ومن ثم انكسر المألوف، واتصف بالغرائبية.. وعبر تلك الآلية يبث الكاتب رؤيته التى لا تتحدد غالباً وفق منظور واحد، بل تقبل التأويل والتعدد:

وإذا كان الحلم لا نهاية للافادة من إمكانياته، فإن الانطلاق إلى عوالم فيزيائية أكدت على ما يمكن أن نسميه بالوهمية الذهنية.. تلك الوهمية هى التى يمكن أن تعطى للعمل نوعاً من الغرائبية.. تقترب من الخرافة العاقلة إن صح التعبير.

وتحاول القصص خداعاً ـ أن ترتكن إلى قضايا ذات بُعد علمى لتوظف الوهم فينا.. مما قد يرد إلى الذهن ـ خطأ ـ أنها تقترب من أدب الخيال العلمى... فالقصة الوهمية ذات البعد العلمى تكتب شهادتها وتأثيرها حين تنجح فى المزاوجة بين العلم كحقيقة وتجريب وبين القصة كفن له أصوله وتجلياته.

وتطرح المجموعة القصصية موضوعات ترتبط ـ بطريقة ما ـ بطاقات الروح فى كمونها وتشكلاتها فى إطار خيالى لا يعدم الكاتب حيلة فى الافادة من ثرائه التغريبى:

ولقد قسم الكاتب مجموعته وفق فروع مادة الهندسة ليعطى لكل فرع دلالة، محاولا أن يكون العنوان كاشفا لأبعاد الشخصيات أو طامساً

لها عبر التأويل والتعتيم. وهو تقسيم - وإن كان يقترب من تخصص الكاتب - إلا أن العمل لا يتأثر بحذفه، أو التجاوز عن عناوينه الثلاثة، وهو ما يوحى بنوع من التكلف فى الأداء.

● فى لوحة اللوغاريتمات يتبدى التصوير الخيالى المنبثق من الذهنية التى تحكم العمل، وتشكل مفردات اللوحة نسقا متكاملاً يشى ببعد علمى تخيلى لا يستند إلى حقائق علمية، بل هو تكئة لتعرية الذات البشرية.. فى قصة «العداد» يدور النص حول فكرة خيالية وهى تركيب جهاز يسجل علاقة القذف بنبضات القلب، ولجأ الدكتور إلى نوع من المخاتلة ليقنع الآخرين بقبول العداد.. لارتباطة - أيضا - بتحديد الانجاب وتنظيمه، والتفرغ للعمل - ثم يجنح الكاتب إلى السخرية - لأنه لجأ إلى الأمر كحيلة فنية - إلى فضح الذوات البشرية.. فضحا يثير الضحك.. فهذا سجل عداده «أربعين مرة خلال الشهرين الماضيين» وتصرخ المرأة فجأة.. ترج القاعة - أننى استشهد بالعداد على خيانته.. سوف أقاضيه..».

وهكذا يمضى العمل حاملاً طابع الفكاهة وإن اتكأ إلى مقولات علمية يدعيها الدكتور عزيز..

وتروج قصة (الاستقبال) إلى ما يسميه الكاتب على لسان الدكتور بالثورة الرابعة، حيث تتحول المادة إلى موجات ترسل وتستقبل فى شكل مجسد كأن يدخل شخص من كابينته الارسال ويضغط على الزر فيخرج من كابينه الاستقبال مغطى بالألياف الحمراء.. ويتحقق للانسان حلمه فى أن يرى ويستدعى من يحب ويريد عبر آلية تقنية

متخيلة.. لكم تضف بُعداً للذات البشرية ولم تكشف عن خبيئة انسانية توضح طبيعة الذات مثلما حدث في «العداد»..

وتميل قصة (البنك).. إلى لون من المخاتلة بعيداً عن الفانتازيا، وإن جاءت من عقلية ذات طابع اقتصادى ذرائعى، حيث يدعو الدكتور - محور الأعمال.. إلى وهن الأحلام والأشخاص وتوظيفها والاقراض بضمانها - كودائع - واستغلال حالات اليأس والاحباط والرغبة فى الثراء وتعديل المسار.. مع تعهد بعدم الإنجاب فى فترة القرض (فى مشروعنا.. الزوجة هى الضامن لتدوير العائد والمنتج.. ولها موقعها المميز على خريطة السلطة والنفوذ..).

ولعل القصة تتشابه مع قصة العداد فى أنها تكشف أنماطا من البشر يقعون فريسة الاغواء لأسباب خاصة، وتدين العقلية المغيبة التى تقبل على مثل هذا النوع من السلوك دون تروٍ.. وهو نوع من الحكى يماثل ما يحدث فى واقع الحياة من أحداث يقع فيها البشر.

ويلاحظ على هذا المحور سهولة اللغة وبساطتها واقترابها من لغة السّرد العلمى إن صح التعبير، ومال النص إلى الاتكاء غالباً على الحوار الذى اتصف بالرتابة والشروح المتكررة فضلا عن التكرار الذى أفسد الفكرة والاسهاب والذى أخل بالأحكام الفنى - وكذلك؛ اختلاف مستويات اللغة فى الحوار

- جئتكم بصندوق الأمنيات الواسعة

- خلصنا.. يا معلمنا

- شروطى على المكشوف

- نحن لها

- قايضونى - بادلونى

- أخلفت الموعد.. فقد دب الجفاف فى الشرايين الوارفة (هكذا).. لم نعد نملك سوى أحلامنا المهترئة.. تدفئنا فى برودة أيامنا..) ولعلنا نلاحظ الخلل فى التصوير واستخدام المفردات اللغوية فى غير دلالتها ولو على سبيل التراسل.. والسبب هو رغبة الكاتب الملحة فى توصيل معنى عبر طرائق التشويق وتشقيق التركيب.

ولعل هذا المحور يكون أقرب محاور العمل الأدبى إلى الوهمية الذهنية التى تجعل من الخيال بعداً رئيسيا فى العمل.. الأمر الذى استدعى الشرح والتبسيط والاسهاب، والحوار الطويل، وتداخل السرد بالحوار بطريقة متعسفة..

● وفى محور التفاصل والتكامل، عاد الكاتب إلى أدواته الفنية المعروفة واقترب من تجاربه وواقعه فالتقط المواقف ذات الطابع الانسانى الذى يشف عن رغبات وآلام وآمال وإصابات وتجاوزات.. وهو ما ساهم فى تشكيل النص وأعطى له فرصة أن يختار طرائق الحكى عبر السّرد والوصف وغلبة الحاضر وإلحاحه.. وفى قصص هذا المحور يجيد الكاتب اختياره للمواقف الانسانى الذى يبوح بطبائع الأشياء وخفايا النفوس، ويدين - من ثم - السلوكيات التى تتسم بالفجاجة والتوحش، وإن لم يخلُ أحياناً من الطبائع الغرائبى الذى لمسناه فى «اللوغاريتمات».

فى قصة رائحة «الكفتة» .. ينفرد الطفل بشراء رغيف ممتلئ بالكفتة، وكان قد تعود وزملاؤه على فعل ذلك، لكنه غدر بهم هذه المرة (أعرف أنهم سيخاصمونني فى الغد لفعلتي.. لا يهم.. سأخترع لهم أكذوبة).

ولجأ إلى حديقة نائية بعيدة عن العيون ليلتهم هذه الوجبة ذات الرائحة الذاكية.. وفوجئ بكلب ضال يحدق النظر فيه.. وخاف.. فاضطر إلى أن يطوح بالرغيف بعيداً.. والتهم الكلب هذه الوجبة الشهية (وقبل أن يأتى عليها.. أمعن النظر إلى وأنا ألملم أطرافى داخل البنطلون.. قال فى حركة رأسه.. يمكنك أن تنصرف. وقد سرنى هذا...).

وإلى هنا تتواءم النهاية مع البداية.. تلك البداية التى أكدت على فعل حميم أخل به الطفل وهو تخليه عن صحبة الأصدقاء - وهو الهدف الأخلاقى الذى تبوح به القصة، وتقول به كثير من الأمثال الشعبية ولذلك لم يكن من الأفضل فنيا - فى نظرى - أن تسجل القصة موقف الرجل والمرأة فى حالة تلبس غير أخلاقى - والولد يصيح الحقونى.. لأنبه بعيد عن بناء القصة..

وبقية القصص ذات طابع سردى مصفى إيجابى، ترمز ولا توضح، تومئ ولا تبين كأنها حالات نفسية لبشر ينشطرون (قصة محاولة) .. أو يتلبسون بالموتى أرواحاً ومزاحمة (الزيارة) .. أو اختراق طفولى وارتداد إلى هذا العالم فى حالة الرضا (قصة خشوع..).

وربما برز تناقض فى مستويات اللغة فى هذا المحور لطبيعة السّرد الوصفى فيه.. ولرغبة الكاتب فى اصطياد صور بلاغية لتجميل النص.

(البس أحلامى الوردية درعاً يقينى سهام النقمة وطعنات الغضب).. ، (يا أمه أنا لازم أشوف حالى.. كل صحابى سافروا بره..) القربان.. وهو ما يجعل النص قريبا من الحالة التى تعتمد على النص كلغة.

● ويمتد الكاتب بنصوصه الجيدة إلى محوره الثالث (الهندسة الفراغية..) ويلاحظ على هذا المحور غلبة السخرية والمفارقة، والتقاط الذات فى لحظة اشتباك نفسى حاد مع الواقع.. مع ابقاء ما يثير الدهشة أحيانا والغرابة أيضا.. فى قصة (الضيف).. يتقدم الرجل إلى سرادق العزاء وهو أول من قدم للعزاء.. ألجمهم الذهول، فهو يشبه المتوفى فى ملامح مشتركة تكاد تتطابق وزاد من الدهشة أن طلباته تماثل طلبات المتوفى، فبدلا من أن يشرب القهوة السادة - كالعادة - فى مثل هذه المناسبات الحزينة طلب أن يحتسى السحلب.. وجعلهم هذا الفعل يتخبطون وتتزايد هواجسهم.. ثم يطلب تسجيل أسماء المعزين.. وكان وقت دفن الميت عاصفا وممطرا.. فكلفوا الخادم بذلك فى حين راحوا يستمتعون بوقتهم ويحلمون.. فى انتظار الوصية، التى جاءت من نصيب كل من حضر جنازة المتوفى..

ها هو الضيف قد حمل رسالته إليهم ومضى..

وتلك هى المفارقة التى قدمها النص.. حيث تتماثل الملامح والمشارب وتفترق النهايات.. ولأن الفعل يثير الشك.. استتبع فنيا أن يكون الحوار مشتبكا مع السّرد القليل.. ليرصد الكاتب ردود الأفعال التى ما كنا نلمحها لولا هذا الحوار الذى يعيبه ـ كحوارته السابقة ـ التطويل والتكرار..

وتنكسر النسب المتعارف عليها، وتتراسل الحواس، وتتشيأ الأوهام، ويتداخل الحسى بالمعنوى، المادى بالروحى فى غلالة انسانية شفيفة تقترب من موضوعات التداعيات والاستدعاءات فى المحور الأول لكن عبر مواقف ذات دفء إنسانى حميم.

ففى قصة (ميعاد..) نلاحظ لهفة الابن والإبنة على الذهاب إلى بيت الأسرة للاطمئنان على والدهما.. فلقد رأياه منفردين فى أماكن عملهما.. ولفت أنتباهما (ارتداؤه لبدلة عرسه البعيد.. والقرنفلة فى عروة الصدر..) وهو (لا يرتديها إلا فى مناسباته الغالية) ولقد حاول كلاهما أن يستبقيه لكنه (أنصرف فى نداء المؤذن.. ليلحق بصلاة الظهر..).

وظل السؤال عالقاً كيف يتواجد فى مكانين مختلفين فى نفس اللحظة؟

ولقد مثل ذلك عبئاً عليهما.. جعلهما سيذهبان للاطمئنان عليه.. لكن الأم تؤكد أنه اغتسل، وصلى فى الصالة وأخبره بمجيئها وطلب منها أن ترسل بدلة عرسه إلى المكوجى.

أهو نوع من تخاطر النفوس، أو من الانشغال الزائد بالشخص حتى يتجسد - ولو بالوهم - مادة حقيقية أمام العين الذاهلة - أو هو استدعاء الروح فى تهويمة وجدانية، أو هو نداء من الأب إليهما ليستعدا لتقبل الرحيل!! تساؤلات كثيرة يتحملها النص، وهى تقترب من حالات التصوف وسلوك الأولياء فى التراث الشفاهى والمكتوب أيضا..

.. ولا نعدم أن نجد قصة خالية من هذه الوهمية الذهنية تعيد للكاتب السبيل الفنى الذى يبدع فيه.. ففى قصة (الساعة..) نقف على حالة انسانية بائسة إذ قام الرجل بخلع ساعة الميدان واعتلى المبنى الشاهق عاريا.. ويقف الجميع مندهشين.. ومن خلال التعليقات والحوارات والنداءات نقف على بعض عذابات الرجل.. كزواج الابنة من شيخ هرم، وضياع أمواله التى أتى بها من الغربة حين جرى وراء توظيف الأموال - وتفريق الإبنة عن خطيبها الذى يحبها (خلاص يا حبيبى.. أدينى رجعت لك تانى - أنزل بقى..).

وتتكشف خيانات كانت خفية، وتنهال الاتهامات.

ولعلنا نلاحظ فى هذه القصة تنوع التعليقات وكثرتها.. وهو ما يريده الكاتب. ففى مثل هذا الموقف أسقطت الذوات البشرية ما يمور داخلها من عذابات على هذا الذى نزع ساعة الميدان ومضى بها إلى هذا المبنى الشاهق.. وهى تقترب بتعريتها للنفوس من قصة «العداد» التى كشفت خيانات البشر وسلوكياتهم الفجة.

والكاتب فى عمله القصص يدخل أحيانا إلى فعله القصصى مباشرة وذلك عن طريق الحوار، مما يجعلنا نؤكد ونحن مستريحون.. لذلك أن

الحوار له السيادة فى بناء القصة، ومن ثم يصبح وسيلة للكشف عن الحدث ذى الطابع الغامض الغرائبى، وكذلك خبايا النفوس الدفينة.. وساهم فى إظهار ذلك البعد طبيعة الشخصية المختارة، وتكوينها الوجدانى، وهواجسها القلقة، وصراعاتها مع النفس والحياة.. ولم ينسى الكاتب فى محاورة الثلاثة بتنوع موضوعها وطرائق السرد فيها.. لم ينسى الإشارة إلى بعض القيم الخلقية والانسانية الغائبة. وكذلك إدانة القبيح منها.. انطلاقاً من أن افتقاد التوازن لدى الشخصيات نابع من الخلل فى بنية القيم الخلقية والانسانية.. وأثرا المتغيرات الاجتماعية السائدة فى المجتمع على النفس والعقل معاً.

محمد قطب

الفهرســـــت..

الموضـوع الصفحة

اهـــــــداء ٣

اللوغاريتـــمات.................................... ٥

- العـداد ٧
- الاستقبال ١٩
- البـنك ٢٥
- الضـيوف ٣٥

التفاضــل والتكامــل.. .... ٤٩

- محاولة ٥١
- الزيارة.. .... ٥٣

● خشوع ٥٧
● رائحة الكفته.. ....٥٩
● القربان ٦٣
الهندسة الفراغية ....
● الساعة.. ....٦٥
● الضيف.. ....٦٧
● السيدان.. ....٧٧
● ميعاد..٨٥
● **قراءة فى مجموعة المسائل (محمد قطب)** ٩٣

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٥١٢ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7182 - 4

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

تصويب الأخطاء التي وردت في كتاب المسائل

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٣	القارى	العادى	٢٩	٨	بصحة	أقر بصحة
٨	١٣	يركب زميلهم	يركب رأس زميلهم	٢٩	١٩	يذكر	يذكرها
٩	١٦	منالسنتمير	من السنتيمتر	٣٠	١	راتبها	راتبهما
١١	١٩	مكانا	مكان	٣٠	٣	ترهنى	ترهننى
١٣	٨	عند	عندا	٣٠	٤	معاد	معاذ
١٣	١٤	متعلمون	متعلمين	٣٠	١٦	أيامها	أيامهما
١٣	١٤	حرفيون	حرفيين	٣٠	١٦	لا شيد	لا شيء
١٣	١٤	عاطلون	عاطلين	٣٦	١	راءته	رائية
١٤	٢	تيلو	يتلو	٣٦	١٥	تنثبت	تتثبت
١٥	٤	بابن	يا ابن	٣٨	٨	لا تزيد	لا تزد
١٦	٩	اللمبات	اللمبات	٣٨	١٣	خطوط طويلة	خطوطا طولية
١٧	٣	سقراء	سفراء	٤٠	٣	يحملوا	يحلموا
١٩	١	اللاستقبال	الاستقبال	٤٠	١٦	تلبث	ثبت
٢٠	١٤	المعافل	المعامل	٤٠	١٧	بعينا	بعينى
٢٢	٤	المزر	الزر	٤١	١١	الوتير	الوثير
٢٢	٨	مدك	معك	٤٢	٣	يملؤن.	يملأون
٢٣	١٧	كلبينة	كابينة	٤٣	٦	زازا	زارا
٢٣	١٩	أمامكن	أمامكم	٤٦	١	تربطها	تربطهما
٢٥	١٠	يادلونى	بادلونى	٤٦	٤	يعد	بعد
٢٦	٥	أبناء	أنباء	٤٦	٤	يالرغم	بالرغم
٢٨	١٨	أحيائى	أحبائى	٤٧	٣	بدء	بدءا

تصويب الأخطاء التى وردت فى كتاب المسائل

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢	١	متناظمة	منتظمة	٦٤	٣	النبؤة	النبوءة
٥٢	١٣	العدد	العدو	٦٨	٢١	رؤس	رءوس
٥٢	١٤	أهتمام	اهتماما	٦٩	٣	داذما	دائما
٥٢	١٨	أعينها	أعينهما	٦٩	١٢	ملئكم	ملأكم
٥٢	٢١	تحتمهما	تحتهما	٦٩	١٢	فأى	فإن
٥٢	٢٣	أجرى	اجر	٧٠	١٢	الرؤس	الرءوس
٥٣	٣	يزورنى	يزرنى	٧١	١٢	تتسائل	تتساءل
٥٣	١٠	ندانى	نادانى	٧٤	١٨	ويزرعه	ويرزعه
٥٥	٤	تعرفى	تعرنى	٧٥	١٧	تزعجوه	تزعجونه
٥٥	٧	اللى	إلا	٧٨	٨	تملأنا	تملؤنا
٥٨	٨	انحنائتى	انحناءتى	٨٦	١٧	رفيقتين	رقيقتين
٥٩	٦	رغيفا	رغيف	٨٧	١٧	كلن	كان
٥٩	٧	أى	أيا	٨٨	٤	كما أغن	كما لم أغن
٦٠	٦	وا	ما	١٠٢	١	لكم	لم
٦٠	٩	محيب	محبب	١٠٢	٢	توضع	توضح
٦٠	١٩	كليا	كلبا	١٠٢	٤	عقيلة	عقلية
٦٠	١٩	أمخالب	مخالب	١٠٢	٥	وهن	رهن
٦١	٣	يداى	يدى	١٠٤	١٦	لأنبه	لأنه
٦١	١٠	بزراعى	بذراعى	١٠٧	١٩	خيانلت	خيانات
٦١	١٠	سيقنى	سبقنى	١٠٨	٦،٤	ينسى	ينس
٦٤	١	شفتاى	شفتى	١٠٨	٨	وأثرا	وأثر